

من التُّراث الشعبي

سيرة بني هلال

ديوان بنات الأشراف

مُسرحية باللغة العربية الفصحى - شعراً

إعداد

عبد العزيز عبد المجيد النجار



حقوق الطبع والنشر محفوظة

لدار الأديب للنشر والتوزيع



دار الأديب للنشر والتوزيع	اسم الدار
بنات الأشراف	اسم الديوان
عبد العزيز عبد المجيد النجار	اسم المؤلف
(٢٠١٨ /) بدار الكتب المصرية	رقم الإيداع
(إيهاب القاضي)	الإخراج الصحفي
من تصميمات الدار (محمد يحيى)	الغلاف

المقدمة

بعد أن قدّمت ديوان السفيرة عزيزة وطبعته بمطابع دار الهلال - على هيئة مسرحية باللغة العربية الفصحى شعراً . كان لزاماً علىّ أن أقدم للقراء الأعزاء قصة بنات الأشراف وهى إحدى دواوين السيرة الهلالية الغراء وفى نفس الوقت هى مكملّة لأحداث السفيرة عزيزة . ووفقت بعون الله أن أنثى بهذه القصة أو الديوان على هيئة مسرحية أيضاً بشعر الفصحى .

ولكنى أضفت فى هذا الديوان بعضاً من مقاطع السيرة الهلالية بكلمات المرحوم الشاعر الهمام (فتحى سليمان) أثرت أن أدون له بعض المواويل التى أداها واستمعت إليه فيها والنابعة من أعماق ريفنا الأصيل - إضافة إلى بعض الأشعار بأسلوبه هو كما سردها فى لياليه الجميلة المنيرة . وتميّزاً لهذه المواويل وتلك الأشعار كُتبت بحروف مختلفة لكى أميزها عن بقية الديوان - حتى يتعرف عليها القارئ ويميزها وكم أود لكل قارئ للسيرة الهلالية أن يحوز أشرطة الكاسيت أو (السى دى) التى بها أداء هذا الرجل العظيم وأسلوبه المميز بمصاحبة فرقته الموسيقية . فالاستماع إليه يسرد السيرة الهلالية متعة وأى متعة - وإننى أنصح كل من يهوى هذه السيرة أن يقتنى هذه الشرائط أو إسطوانات الكمبيوتر لكى يستمتع بالسمع والسلطنة الفعلية.

وعلاوة على ذلك فإن نظم هذا الديوان كالديوان السابق السفيرة عزيزة مع إضافة كليهما إلى المسرحيات التى نظمت شعراً بلغة عربية فصحى - وهى قليلة - هو إشباع لمتعة القراءة . وقد استحثت كل من قرأ السفيرة عزيزة على أن أكتب بنات الأشراف.

وها هى فى متناول اليد علاوة على أن أحداث هذه المسرحية كما ذكرت هى استكمال لأحداث السفيرة عزيزة .

وكل هدفى من الكتابة هو وعد بإمتاع وموانسة القراء الأعزاء .

لا عدمنّا تلك الصحوة المباركة لحب القراءة ودوام الإطلاع فنحن شعب قارئ ناقد. فإلى متعة القراءة . والله الهادى إلى الطريق السوى.

عبد العزيز النجار

٢٠١١/٨/٤

" نبذة عن أحداث مسرحية السفيرة عزيزة "

الفصل الأول:

لابد لقارئ مسرحية بنات الأشراف أن يعرف أحداث مسرحية السفيرة عزيزة فهي مقدمة لها. وأحداث بنات الأشراف مبنية على أحداث السفيرة عزيزة فما هي الأحداث التي هي بمثابة مقدمة لأحداث مسرحيتنا هذه؟

• قبيلة بنى هلال تعيش فى هضبة نجد فى شبه الجزيرة العربية وأرض نجد بها الزراعة على الآبار والعيون والأمطار تهطل الأمطار فتتمو الزراعات ويتوافر الكأ والعشب للرعى - رعى الإبل والماشية والأغنام.

(وبنى هلال) ينتمون إلى قبيلة تغلب ومنهم كليب ملك العرب والمهلهل أخوه أبناء ربيعة ومنهم عمرو بن كلثوم صاحب إحدى المملكات التى يفتخر فيها بقبيلته تغلب .. هذه هى قبيلة بنى هلال.. يحمون الذمار ويغيثون الملهوف ويحمون الجار وينودون عن الديار، عرفوا بين القبائل بتلك الصفات الحميدة، جيوشهم وفيرة العدد والعدة ولهم أيامهم الخالدة فى تاريخ العرب - فى أرض نجد النجود الخضراء.

• ولكن أتت سبع من السنوات الجذباء لم يهطل بها المطر وجفت العيون والآبار وقلت الخيرات وجاعت القبيلة.

وقاومت القبيلة هذا الجذب بشتى الطرق عامًا بعد عام.. لكن دون جدوى عم البؤس والشقاء والجوع

• ثم حدث ما غير هذه الأحداث تغييرًا جذريًا .. إذ بينما كان سلطان بنى هلال : السلطان حسن بن سرحان جالسًا فى مجلس السلطنة ومعه أشرف القبيلة يتشاورون إذ دخل عليهم الحاجب مهرولا يلفت نظر السلطان والجالسين معه إلى أن أحد الأمراء الأشراف أتى من بلاد بعيدة يقود قافلة لا آخر لها من الجمال محملة بالغلل والدقيق والسمن والزيت والزبيب والتمور وكل ما تشتهيه القبيلة وعلاوة على ذلك فهو يبذر الذهب والفضة تحت أقدام رجال قبيلة بنى هلال.

• تعجب السلطان والحاضرون من ذلك وطلبوا من هذا الشريف الأمير أن يدخل عليهم وما هي حكايته..

وعندما دخل هذا الرجل أخبر الجميع بأن اسمه الأمير جبر القريشي من أشراف مكة الذين يحكمون بلادًا في الغرب هي بلاد تونس الخضراء.. ولما سأله السلطان عن سبب مجيئه إلى بنى هلال قال له:

إنه كان حاكما على تونس الخضراء وكان معه الجيوش تحميه ولكن قبيلة بنى حمير الذين هم كانوا حُرَّاسًا له انقلبوا عليه وقتلوا أمير جيوشه وأخذوا منه السلطنة عنوة واقتدارًا بقيادة الزناتى خليفة.

وأخبرهم أن تونس هذه في بلاد الغرب وأنه ظل سنوات يبحث عن الجيوش التي تساعد في استرداد عرشه فأخبره الجميع بأن قبيلة بنى هلال هي الوحيدة القادرة على مجابهة الزناتى العنيد وجيوشه القوية.

وأنه ظل يبحث من بلد إلى آخر إلى أن اهتدى إليهم. فأتى إليهم ولكى يفكوا أسر زوجته (ورد البها) التي سجنها الزناتى هي ومن معها ثلاثون أميرة.

• خلال الحديث يخبرهم جبر بأن أرض تونس لا تعرف الجذب كأرضهم فهي جنة الله فى أرضه - أنهار - آبار - عيون - أمطار - زراعات - جنة دائمة الخضرة والعطاء. وأن ما يبذره من الذهب والفضة لديه كما أن لديكم الرمل والحصى.

• وهنا يقرر السلطان اجتماع رؤساء القبيلة فتجتمع القبيلة وتأخذ قرارها : لابد من مساعدة الأمير جبر القريشي فى محنته لاسترداد تونس من قبضة الزناتى خليفة وجيوشه. ولكن كيف؟

أولاً : يذهب أحد الحكماء سرًّا إلى تونس لمعرفة هذه البلاد والطرق المؤدية إليها وما هي الأساليب الممكنة لاسترداد تونس وربما الإقامة بها.

ثانيا : من هو هذا الحكيم الماهر الذى يمتلك الحكمة والدهاء والقوة والذكاء ليقوم بهذه الخطوة بنجاح؟

ثالثا : تم اختيار الأمير (أبو زيد) الهالى لهذه المهمة الصعبة الشاقة والسريّة.

• ما هي الأحداث التي تلت ذلك ؟

ولكن الأمير أبو زيد رفض أن يسير وحيداً إلى هذه البلاد المجهولة بل اشترط أن يأخذ معه الأمراء: يحي ومرعى ويونس وهم أخوة السلطان حسن الأشقاء كشرط لذهابه لهذه المهمة العسيرة.

وفوجئ الجميع بهذا الطلب الفريد بل المفاجأة الأكبر أن الأخوة الثلاث قد وافقوا على الذهاب مع (أبي زيد) فى هذه الرحلة فأسقط فى يد السلطان وافق الجميع على هذه الرحلة وسميت هذه الرحلة باسم: الريادة .. أى يرودون المغارب ويكشفون هذه البلاد وطرقها وما هي تونس ومن هم الذين يعيشون بها ؟ وما هي أبوابها ومداخلها ومخارجها لوضع الخطة للتحرك الصحيح إليها.

وجهزت القافلة وتوجهت ببركة الله إلى مبتغاهما وهذا هو الفصل الأول من المسرحية.

الفصل الثانى :-

كان الوهيدى معبد حاكم تونس الخضراء، وأما أمير الجيوش فهو الزناتى خليفة..
الوهيدى معبد كان له ابنة تسمى عزيزة .. وهى أميرة الأميرات وجميلة الجميلات .. منع والدها الزواج عنها.

ورفض أى رجل يريد أن يتزوجها لشدة حب السلطان لابنته - ففى ظنه أن زوجها ربما يمنع والدها من رؤيتها - فأعد لها والدها قصرًا جميلًا .. على البنيان زينه بالذهب والفضة والجواهر الكريمة ومنع الاقتراب منه وزود القصر بالخدم والعبيد لإبقائه جنة فيحاء يطل على البحر من ناحية وعلى الصحراء من ناحية أخرى وزرع فيه البساتين والأشجار وأحاله إلى جنة خضراء وأمنية كل من يتمنى الحياة واشترى لها إحدى الوصيفات لخدمتها والإقامة معها لتؤنسها وهذه الوصيفة كانت تسمى (مى)

(مى) : إحدى الشخصيات الهامة فى القصة فقد كانت (مى) هذه وصيفة للأمير يونس ابن الملك سرحان. ويونس هو أخ للسلطان حسن سلطان بنى هلال .. كان يونس يمتاز بالجمال .. جمالا يوسفيا رائعا.. وكانت مى وصيفة له - وفى سنوات الجذب أتى الشعراء إلى الأمير يونس ومدحوه وكان لزاماً عليه أن يعطيهم حتى لا يصفوه بالبخل .. فلم يجد لديه ما

يعطيه لهم وآثر ألا يرددهم دون عطاء فلم يجد أمامه سوى أن يعطيهم الوصيفة (مَيّ).. أخذها الشعراء.. فباعوها بدورهم للتجار وأخذوا ثمنها وأخذها التجار وباعوها بدورهم لمن أخذها وتوجه بها غرباً إلى تونس الخضراء فاشترها الوهيدى معبد لابنته عزيزة وأهداها إليها لتكون معها ونيساً فى قصرها. ومَيّ هى وصيفة عزيزة.

دخلت (مَيّ) قصر السفيرة عزيزة فبهرت بجمالها.. ولكنها كانت دوماً تخبرها بجمال سيدها الأمير يونس أمير نجد وأحد شبابها – فطلبت منها عزيزة أن تعدد صفاته: جمال عينيه ووجهه وصفاته وأخلاقه فذكرت لها أن يونس هذا أجمل من رأت فى حياتها.. فتعلقت عزيزة بحب يونس دون أن تراه وأصبح هو أمير أحلامها فى قصص تحكيها لها (مَيّ).

• فلنترك عزيزة.. ومَيّ تحكى وتسرد لها عن أميرها الجميل.. ولنتركهما معا لنرى ماذا حدث لقافلة (أبى زيد) والأمراء الثلاثة معه والأحداث التى ستجمع بين عزيزة ويونس بتدبير من الله فملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب.

تحركت القبيلة نحو الغرب تاركة أرض نجد إلى تونس نحو الغرب إلى أن وصلوا إلى مشارف تونس الخضراء جوعى مرهقين متعبين – وطلبوا من خالهم (أبى زيد) الطعام فقال لهم نفذ الطعام. ولا مال لدينا لقد نفذ كل شئ فاصبروا..

وهنا تذكر أحد الأخوة أن أمه الملكة (شماء) كانت قد أعطتهم فرعاً من عقدها النادر – فرع من الجواهر والماس لا يقدر بثمن.. وقالت لهم يبعوه عند الضرورة.. وها هو الوقت.. فتذكر هذا الأخ الفرع الجوهر فطلب أبو زيد من يونس أن يرتدى ملابسه ويركب جملًا وينزل إلى السوق لبيع هذا الفرع ويشتري بثمنه طعاماً ليأكلوا جميعاً بعد هذا الجوع.

• طلب أبو زيد من يونس ألا يلتفت إلى أحد وخاصة نساء تونس لجمالهن ويعود سريعاً بالطعام. ركب يونس الجمل ونزل إلى سوق تونس وعرض الفرع فأدهش كل من فى الصاغة وأخبروه بأن هذا العقد أغلى من كل أموالهم جميعاً . وأن من يقدّر هذا الفرع شخص واحد هو عزيزة ابنة سلطان تونس – وأرسل كبير الصاغة إلى امرأة عجوز وطلب منها أن ترافق الأمير يونس إلى قصر السفيرة عزيزة لتشتري هذا الفرع.

سار يونس مع العجوز وعند أبواب القصر دخلت هي وتركته وحيداً - وما شاهدت مىّ هذا الفرع إلا وتذكرت كل شئ وأخبرت سيدتها إن هذا الفرع من عقد سيدتها الملكة شماء والدة الأمير يونس.

واستعجبت كيف يأتى العقد إلى هنا. فقالت العجوز إن صاحبه يقف عند بوابة القصر ولما سألتها مىّ عن أوصافه قالت العجوز : إنه أجمل من رأيت على سطح الأرض من رجال.

فطلبت من العجوز أن تحضره بحجة التوقيع على العقد.. فدخل يونس ورأى السيدتين أعلى الدّرج فنزلت مىّ تجرى وتسلم على سيدها وتقبل يديه وتبكي من الفرح وتقول لسيدتها إنه هو يا سيدتى إنه يونس فاسقط فى يد الجميع ما حدث ونزلت عزيزة من أعلى درج السلم لترحب بهذا الملاك الجميل وتتنظر إليه باستغراب وبإعجاب إذا أن (مىّ) لم تصف كل جماله فهو أجمل مما وصفت.

• صعد معها يونس إلى القصر مرهقا متعبا وأخبرهم بمن معه - فما كان من عزيزة إلا أن أمرت بإعداد سفرة عظيمة من الطعام وحملتها إحدى الخادومات فى صينية كبيرة على رأسها وتوجهت إلى المكان الذى حدده لهم يونس فأخذ يونس يتنفس الصعداء.

وطلبت عزيزة من الخادمة ألا تقول لهم أين يونس ومن بعث لهم بهذا الطعام وألا تتنطق بحرف واحد فالأمر خطير.

• وفى قصر عزيزة كان الحب العذرى الذى جمع بين روحين بين قلب عزيزة وقلب الأمير يونس بوجود الوصيفة مىّ - كان يونس يرى أن الله يراقبه فى كل شئ ورأت عزيزة أنها يمكن أن تخاطب والدها فى زواجها من يونس - كانت قصة حب برئ عذرى يودان ختامه بأحلى خاتمة ألا وهو الزواج.

الفصل الثالث :-

• لكل جواد كبوة: جلس أبو زيد ويحى ومرعى فى انتظار يونس ولكن هذا طال غيابه ثم أقبلت الجارية تحمل صينية الطعام وسألوها عن مصدرها فلم تجب فمنع أبو زيد نفسه ومن معه من تناول الطعام فعادت به الجارية دون أن تخبر سيدتها.. خاف أبو زيد ربما يكون الطعام مسموماً - أكلوا بعض الزاد ونام أبو زيد على فخذ الأمير مرعى وجلس الأميران

يتسامران فحدث أن إحدى النياق فكت قيودها ودخلت ترعى فى بستان الزناتى أمير الجيوش - قام العبيد ليردونها فأسرع مرعى ليرد الناقة فأدركه العبيد وطعنوه فى فخذه بالحربة فوقع على الأرض ينزف الدماء. صحا أبو زيد من نومه ورأى أمامه العبيد يحيطون بمرعى فأخذ أدوات الحرب وصار يقتل فى العبيد إلى أن قتل ثلاثين عبداً .. وأخذ يعالج الجرح جرح مرعى .

- أسرع العبيد الباقون إلى الزناتى فى مجلس الوهيدى فأخبروه - فركب بالفرسان وحاصروا أبا زيد وقيوده هو ومرعى ويحى وساروا بهم إلى مجلس الزناتى.
- وعند المرور إلى قصر الحكم مروا بقصر عزيزة ورآهم يونس فأغمى عليه من المفاجأة.
- عزيزة تنزل إلى قصر أبيها لترجوه أن يطلق الأسرى فيرفض الأب وتتأزم الأمور.
- فما كان من عزيزة إلا أن ذهبت إلى العلام (أبو غديّه) فقد كان يحبها ويريد التقرب منها وهى رافضة فأسرع هذا ليلبى طلباتها وأحضر معه ثلاثين ألف دينار فداءً للعبيد ورضى الجميع بذلك - وأخذ العلام أبا زيد ومرعى ويحى إلى قصره - وعند مروره على قصر عزيزة اطمأن يونس عليهم..

المشهد الثالث والأخير:

عاد العلام مع أبى زيد ومرعى ويحى وحاول أبو زيد أن يكتم أسرار له لكن دون جدوى استطاع العلام أن يدرك كل شئ ولكنه كتم ذلك عن الوهيدى والزناتى. وجاء يوم (البرجاس) فأهدى العلام إلى الفارس (أبو زيد) فرسه النعامه وتوجهها إلى ملعب البرجاس فحاز أبو زيد الإعجاب من الجميع لبراعته وتغلب على أقوى الفرسان - وأراد أبو زيد أن يجمع شمل الإخوة فأرسلوا مرعى إلى قصر عزيزة متخفياً وأخذ يروى أشعاراً تورية ففهم يونس المقصد وأراد أن ينزل له - ولكن عزيزة ترجمته ألا ينزل. فقال لها لا بد أن أعود إلى خالى وأخوى فرجته أن يعود - فقال لها أعدك بأن أعود. وترك مسبحته عندها ونزل إلى باب القصر. ثم عاد ليأخذ المسبحة كما وعدا ثم ترك عزيزة جميلة الجميلات متوجهة إلى أهله خاله وأخويه تاركاً أغلى ذكرياته.

• وفى النهاية طلب العلام منهم ألا ينزلوا شوارع تونس ولكن أبا زيد نزل إلى الشوارع ليدرسها ويدرس مداخل البلدة ومخارجها فقبض عليهم مرة ثانية وأودعوا السجن. وفى السجن استطاعت عزيزة أن تأتى بأحد المهندسين وأمرته سرّاً أن يحفر سرداباً بدرج إلى سجن يونس واستطاعت هى والأميرة سعدى ابنة الزناتى خليفة الدخول سرّاً إلى السجن عبر هذا السرداب عزيزة لترى يونس وسعدى لترى مرعى الذى أحبته حبا جماً.

وكانت الأميرتان تحضران لهما الطعام وما يريدانه وينعم كل حبيب بلقاء حبيبته على مرأى ومسمع من أخيهما يحيى وخالهما (أبو زيد) تبادلوا حبا يانعا عذرياً هو نظرات وعبرات وتنهدات، حب ملؤه الطهر والبراءة - واستطاع العلام أن يخرج أبا زيد من السجن.

• وأما ما كان من أبى زيد فقد طلب من العلام حصاناً مسرجاً وزاداً وزواداً ليركبه ويتجه به شرقاً إلى بلاد نجد النجود لكى يعود بالجيش الكثيفة إلى تونس ويدق أبوابها (لأبد من لطفة على باب طونس) لإنقاذ مرعى ويحيى ويونس وكذلك بنات الأشراف وهذا ما سوف تتضمنه أحداث مسرحية بنات الأشراف التى بين أيدينا.

المؤلف

عبد العزيز النجار

٢٠١١/٨/٤

الفصل الأول

المشهد الأول

مقدمة : فى هذه الرحلة .. من تونس إلى أرض نجد .. أى من الغرب إلى الشرق - بكى أبو زيد فارس العرب , بكى كما لم يبك فى حياته .. بكى لأسباب كثيرة - أولها الوحدة , فهو وحيد والرحلة طويلة , لا معين له ولا أنيس .. بل لا احد معه يكلمه سوى صديقه .. حصانه. وثانى الأسباب أنه ترك فلذات أكباده وقد أمّنه جميع الأهل عليهم وخاصة أمهم وأخوهم الأكبر ووثقوا فيه . وبكى متحسراً على ما سوف يقوله لقومه .. وكيف ترك الثلاثة فى سجن تونس وعاد بدونهم ؟ وما هو جوابه ؟ وماذا يكون ردّه عندما يسأله القوم عنهم ؟

بل كيف سيدخل على القبيلة وحيداً ؟

بكى .. وبكى فى وحدته .. ولكنه حوّل بكاءه هذا إلى داخل نفسه لينتقم من هؤلاء الظالمين .. الزناتى وجيوشه .. فقد سلب الزناتى جبراً القریشى ملكه . وسجن زوجته مع بنات الأشراف وجلس الوهيدى معبد على كرسى سلطنة تونس , وأصبح الزناتى قائداً للجيوش .. وقد كان بنو حمير حُرّاساً وخفراء للحكام من الأشراف فسطوا على أسيادهم من الأشراف وسلبوهم ملكهم . وقد أهان الزناتى أبازيد وقيّده بالأغلال وزج به فى السجن لولا تدخل العلام أبو غديّه . وسجن يحي ومرعى ويونس .. فلا بد من تأليب القبائل .. قبائل بنى هلال وما يجاورها ويعاهدها من القبائل , ولا بد من تكوين جيشٍ للعودة به إلى تونس لفكّ سجن الإخوة وكذلك بنات الأشراف والثأر لهم .

فأخذ أبو زيد يستحث حصانه - بل رفيقه - على الجرى بسرعة وأخذ يسترجع ما قاله من أبيات مخاطباً هذا الحصان الرفيق :

أبو زيد :

يا صاحبى طربى إلى إلى الأنجادِ
واطو الثَّرى بحواضرٍ وبِوَادِى

ودّع بلاداً قد تركتُ بأرضها
روحى وقلبى والكلىمَ فوَادِى



طربى إلى نجادٍ لـدقّ طبولها
لأعيدها للصّحورِ دون رُقـادٍ

كلّف بترياق الحيلة حروبها
صوتُ الهجـوم كهجـمة الأسـادِ

واسنّبِق رياحاً عاتياتٍ علّنا
نقضـى مهمّتنا بكـلّ سـدادِ

ثم أخذ يسترجع حواراً دار بينه وبين مرعى ويحى حينما توجه يونس إلى السوق فى تونس
ليبيع فرعاً من عقد شماء ويشترى بثمره طعاماً لهم . كان الحديث كالصدى فى الأفق .. استمع
إليه أبو زيد: صوت أبى زيد :

ذكرُ نجادٍ لنـازح الأوطـانِ
أذرفَ الـدمعَ هـاطلاً بمـعانِ

قدْ تـذكّرتُ أهـلنا العـربَ فـيها
ومُـرورَ الأيـامِ مـرّاً ثـانِ

أين منى مضاربُ القـومِ نـورٌ
أين بيتـى وروضـتى كالجنـانِ

وبنـاتى كالغـيـدِ يـخطـرن حـولى
نـسـاماتُ العـبيـرِ كـالزّعـفرانِ



ولـِدَاتِي إِذَا دَعَا وَتُ سِرّاً رَاعَاً
وبنـِيزِي والكَاكِل طُوعُ بِنَانِي

وهنا يظهر خيال مرعى وصوته يشاركه ذكرياته :

صوت مرعى :
أَيِّنْ خَضِرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ تُهْدِي
دَعَاوَاتٍ لَنَا بِقَلْبٍ هَانٍ
وَبُدَيْرٍ بَنٍ فَايْدُ وَصَلَاةً
وَتَسَابِيحٍ رُتِّلَتْ بِأَذَانٍ
وَجِيُوشٍ تَهْبُ فِي كَيْرِيَاءٍ
بَيْنَ عَالِ الْبَنُودِ وَالصَّوْلَجَانِ
نَجْدُ يَا نَجْدُ يَا مَرَابِضَ أَسَدٍ
لَهْلَالٍ تَصُولُ أَوْ ذُبْيَانٍ
وَجُودُودٌ بَتَغْلِبُ أَوْ بِيَكْرٍ
وَابْنُ مَاءِ السَّمَاءِ أَوْ غَسَّانٍ

صوت أبي زيد :
جَاءَ يَوْمٌ أَجُوعٌ فِيهِ وَأُهْدِي
بِقَمِيصِي يُبَاعُ أَوْ طَيْلَسَانِي
يَا غُرَابَ الْبَعَادِ لَا كَانَ يَوْمًا
لِفِرَاقٍ مِنْ أَعْظَمِ الْحَدَثَانِ

صوت يحيى :
هُوَ بَوْسٌ وَيَنْقُضِي يَا بِلَادِي
وَتَعُودِينَ زِينَةَ الْبُلْدَانِ
بَلْ تَعُودِينَ كَالرَّيَاضِ جَنَانًا
لِذَوِينَا . وَعِشُّنَا بِكَ هَانِي

أبوزيد وقد مسح دموعه في كبرياء

كُنْتُ بَيْنَ الْبَدْرِ مَرْعَى وَيُونُسَ
ثُمَّ يَحْيَى خَمِيلَةَ الْبَسِطَانِ
لَوْ يَجِلُّ الظَّلَامُ كَانُوا وَنِيْسًا
وَضِيَاءً . وَالْأُنْسَ لِي . وَأَمَانِي
وَيَحَ قَلْبِي !! فِي السَّجْنِ أَمْسُوا جِياعًا
وَبَعِيدًا عَنْ نَسْمَةِ الْأَوْطَانِ
أَذْرِفِي يَا عَيْنِي بِدَمْعٍ سَخِيٍّ
خَفَّفِي مِنْ قَسْوَةِ الْأَشْجَانِ

صدي صوت ينجي أبا زيد ويؤنسه :

الصوت : أَيُّهَا السَّارِي لِنَجْدِ الْعَرَبِ
جَمَعْتَ كُلَّ عَلَى النَّسَبِ

أبوزيد هَلْ أَرَى مِنْهَا تَلَالًا وَرُبِّي
مَطْلَعِ الصُّبْحِ بَنُورِ الْكَوْكَبِ
هَلْ أَرَى فِيهَا رِفَاقًا نَشَأُوا
نَشْأَةَ الطُّهْرِ رَفِيعِ الْأَدَبِ
هَلْ أَرَى مِنْهَا جُيُوشًا دَمَدَتْ
تَطْلُبُ الثَّأْرَ بِصَوْتِ الْعَضَبِ

نفس الصوت ينجي أبا زيد ويرد عليه :

لَنْ تَرَى إِلَّا أَسْوَدًا زَارَتْ
سَارَعَتْ تَبْغِي فَنَاءَ الثَّغْلَبِ

لن ترى إلا رجلاً سارعوا
واسئتردوا حقاً كالمغتصب
لا تعذ إلا بجيش كاسر
من هلال دونه كل أبي
قد قضى الله بعدل فاصل
وانتصار برسول عربي

أبوزيد

رب مهراً قد تردى فاستوى
فى ثبات . صائب المنقلب

الصوت

أسرع السَّير أباً زيد بلا
نصب هيأ نجى العرب

أبو زيد يسترد آماله وعافيته وكان الليل أسدل بستاره على
الصحراء ولمعت النجوم فى قبة السماء وارتفع القمر ينير البداء
فأخذ يتغنى :

أبوزيد :

الليل قد لمعت نجومه
والبرد تحجب غيومه
والزهـر ررق عبيـره
والعطـر أرجـه نسـيمه
والطيـر يسبح فى الفضـا
بالله ما ألقى نظيمه
قسماً برب محمـد
والبيت إذ تعلو رسـومه

يا نجدياً ألقى البطا .: ح لأنت للقلب نعيمه

اشْتَقْتُ مِنْكَ مَرِيعاً .: للحب راق بها حَمِيمُهُ

أبو زيد يسمع صوتاً من بعيد فيتوجه إلى مصدره فإذا خيمة بها امرأة مع بنيتها .
أبو زيد :

سلام الله يا أعرابُ

صوت امرأة : سلامُ الودِّ والطُّهرِ

أبو زيد : سَمِعْتُ أَنْيْنَ مُلْتَاعِ

المرأة : وَلَيْدِي رُضٌّ مِنْ صَخْرِ

ولا أدري له بُرْءًا .: شفاك الله يا بصرى

أبو زيد يتحسس الألم في القدم , ويدرك ما حدث . لقد سقط من مكانٍ عالٍ فهنا إلتواءٌ في
القدم يصاحبه ورم - يحتاج للعلاج - الأم عجوز : توفى زوجها وترك لها الأبناء صغاراً
تعولهم هي والإبن الأكبر المصاب.
أبو زيد :

علاج الإبن مَيَّسُورٌ .: بعون الله يا أُمِّي

المرأة : حماك الله يا ولدي .: حكيم الدَّيْرِ إذ تَأْتِي ؟
أبو زيد :

تجاريب تُعَلِّمُنِي .: وَأَتْلُو آيَ قُرْآنٍ

نَدَى حَسَنَ الصَّوْتِ

نَسِيحٌ وَاحِدٌ أُمِّي .: مِنَ الْمِيلَادِ لِلْمَوْتِ

أَتَى مُوسَى بِتُورَةٍ .: أَتَى عِيسَى بِإِنْجِيلٍ

أَتَى طَهُهُ بِقُرْآنٍ .: رِسَالَاتٌ لَنَا تَأْتِي

المرأة :



إله واحد نعبد .: وأنوار لنا تأتي

وأخرج أبو زيد دهاناً وبلسماً وأخذ يتلو آيات قرآن ويدعو الله ، ثم أعد قطعة من القماش ولف بها قدم الابن بكل عناية . وابتدأ الألم يزول وجلس الولد يتحدث معه .

وقدمت الأم لأبى زيد لبنا يشربه . ومكث أبو زيد بجوارهم أياماً يصطاد الفرائس من الجبال ويأتى بها للأسرة لإعدادها وطهوها للطعام وينام هو فى خيمة بالقرب منهم إلى أن زال الألم والورم من القدم وخفت آلامها وعاد الابن عفيّاً ليعول هذه الأسرة.

ترك أبو زيد تلك الأسرة بعد أن اطمأن إليها وسار فى طريقه شرقاً فدخل فى صحراء قاحلة سار بها عدة أيام . ثم إذا به يلج صباحاً إلى أرض الجبل الأخضر فى ليبيا . فانبهر بالخضرة اليانعة والمياه الجارية والآبار بمائها والطيور المغردة الشادية على أغصانها ، والفاكهة مختلفة الألوان تتدلى من هذا الأشجار وكأنما هى جنة الفردوس . فأخذ يصف هذا الجمال فى الجبل الأخضر :

جَبَلٌ أَحَاطَ بِهِ وَتَحْتَ لَوَائِهِ
أَشْجَارٌ فَاكِهَةٌ وَنُورٌ أَقْاحِ
أَشْجَارُهُ الْفِيحَاءُ تَعْلُو حُمَلَاتُ
ذَهَبًا يُضِيُّ . وَأَحْمَرُ التُّفَاحِ
وَنَخِيلُهُ الْعَالِي يَمِيلُ مُبَاهِيًا
وَمَنَادِيًا . يَا شَاعِرَ الْأَمْدَاحِ
صِفْ لِي الزَّبْرَجَدَ وَالْمَذْهَبَ يَا فَتَى
وَصِفْ الْجَمَالَ مُتَمِّمًا بِالسَّاحِ
وَكِذَا عَنَاقِيدَ الْكَرُومِ مَفْصَّصًا
سَبْحَانَ رَبِّى فَالِقَ الْإِصْبَاحِ

وَالسَّوْسَنُ الْمُنْثُورُ يَبْدُو لَوْلَوْ
هَذَا بِبَدِيعِ الْخَالِقِ الْمَنَّاحِ
وَالْوَرْدُ يَهْدِي عِطْرَهُ مُنْفَتِحًا
مَلَأَ الرِّيَاضَ بِنَشْرِهِ اللَّمَّاحِ
عِطْرُ الْخَزَامَى فِي الْجِبَالِ نَسِيمُهُ
يَسْرِي بِطَيْبِ عَيْبَرِهِ بَجْنَّاحِ
وَالشَّمْسُ مَشْرِقَةً وَتُهْدِي بِفَأْهَا
لِلْأَرْضِ فِي هَذَا النَّهَارِ الضَّاحِ
وَمُرَدَّدَاتِ الشَّجْوِ نَاغَتِ الْفَهَا
مُسْنَمَةً يَلْعَلُ ذُرَا الْأَنْوَاحِ
يَتَنَاجَمُونَ بِشَجْوِهِمْ فِي جَوْقَةٍ
ضَمَّتْ رُخِيمَ الصَّوْتِ لِلْأَرْوَاحِ
فَلْتَصْنُغِينَ إِلَى الْبَلَابِلِ غَرَدَتْ
عَذَبَ الْغَنَاءِ شَدَتْ مَعَ الْإِصْبَاحِ
وَحَمَامَةُ الْأَيْكَ الْكَثِيفِ تَرْنَمَتْ
مَعَ عَنْدَلِيبٍ مُبْهَجٍ .. صَدَّاحِ
سَبْحَانَ رَبِّي مُهْدِيًا لَخَلَائِقِ
تَلْكَ الْجَنَانِ بَغُودَةٍ وَرَوَّاحِ
زَالَتْ هُمُومِي حِينَ طُفْتُ بِقُرْبِهَا
إِنَّ الْحَدَائِقَ بَهْجَتِي يَا صَاحِ
وَشَرِبْتُ مِنْ مَاءِ مَعِينٍ طَعْمُهُ
يُهْدِي إِلَيَّ عَطِيَّةَ الْمَنَّاحِ

وَأَخَذْتُ مِنْ تِلْكَ الْمِيَاهِ وَضَاعَتِي
بَعْدَ الْوُضُوءِ سَجَدْتُ لِلْفَتْحِ

أخذ أبو زيد يسرع في اتجاهه للشرق لا يريد أن يضيع وقتاً فدخل بعد أيام ريف مصر وسمع زغاريد وأصوات الفرح تصدر من أحد الأماكن واتجه إليه .. إنه زواج . دخل إلى المكان الفسيح يُسَلِّي نفسه لعل الفرح يفرج همّه ويفكّ كربّه وحزنه .. قدم نفسه لهم على أنه حاجٌ يتجه إلى بيت الله الحرام قدّموا له الطعام ودعوه ليشاركهم في أفراحهم وزواجهم المبارك ابن شيخ البلد سيتزوج إحدى بنات العائلات التي تجاورهم قام أحد المغنين من ريف مصر يلقي بعض المواويل والكل يُصغي :

يَا سَايِقَ الظَّعْنِ بِالْمَحْبُوبِ عَلَى مَهْلَكٍ^(١)
أَلَّا فَوَادِي مِنَ الْأَشْوَاقِ عَلَى مَهْلَكٍ^(٢)
قَتَلْتَنِي نَذْرَ حِينَ تَمْشِي عَلَى مَهْلَكٍ^(٣)
هُوَ الْجَفَا صَنَعْتَكَ ؟ وَالْأَعْلَامُ أَهْلَكَ^(٤)
إِحْنَا سَمَعْنَا مَثْلَ مَنْ أَلَّى قَبْلَنَا قَالُوهُ^(٥)
بِحَرِّ الْمَحَبَّةِ عَمِيقٍ .. مَبْنَى عَلَى مَهْلَكٍ

تصفيق واستحسان .. وطلب الإعادة .. ورقص ..

على مهلك : تمهل في السير

(١) الظعن : الدابة يرتحل عليها

(٢) على مهلك : أوشك واقترب من الهلاك

(٣) قتلتنى نذر : قتلتنى شيئاً فشيئاً . ببطء

(٤) والا علام أهلك : أم أن أهلك علموك هذا الجفا

(٥) مبنى على مهلك : مبنى على مكان يهلك الناس . على الهاوية.

المغنى:

إِيَّاهُ السَّبَبُ فِي غَزَالِ الْبَرِّ وَشُرُودُهُ^(١)
وطلعتَه فِي نَهَارِ الْحَرِّ وَشُرُودُهُ^(٢)
سِرِّيًّا نَسِيمٍ عِنْدَ حَبِيبِي وَرُودُهُ^(٣)
إِنْ كَلِمَتُكَ كَلِمَةٌ . مَا كَلِمَتُكَ رُودُهُ^(٤)
إِذَا سَمِحَ بِالْوَصَالِ هَاتِ لِي أَمَارَهُ فِيهِ
هَاتِ لِي أَمَائِرَ . حَمَارِ الْخَدِّ وَوَرُودُهُ^(٥)

تصفيق .. ورقص .. واستحسان وزغاريد

ثم تكونت مجموعتين من الفتيات والصبايا ترددان الأغاني والأهازيج :

المجموعة الأولى: يَا أَلَلِّي أَنْتِ نَاوِي النَّسَبِ نَاسِبٌ نَسَبٌ عَالِي^(٥)
وَنَازِلُ السُّوقِ يَبْدُرُ يَشْتَرِي غَالِي^(٦)
لَوْ قَالَ مَيِّتْ يَفْتَحِ اللَّهُ . يَكْسِبُ الْغَالِي
خُدَّ الْأَصِيلِ وَاحْجِزْهُ وَابْنِي عَلَيْهِ السُّورُ
وَرُوقَ الشَّهْدِ وَاسْقِيهِ مِنْ قُلُوبِ بَنُورُ
أَمَّا الْخَسِيسُ أَتْرُكُهُ .. يَرْوَحُ بِوَصْلِهِ . يُغُورُ^(٧)
لَوْ كَانَ وَصْلُهُ بِلَاشٍ . لَازِمٌ يَكُونُ غَالِي

تصفيق

وإعجاب ورقص إيقاعي على تصفيق الأكف .

(١) شُرُودُهُ : شَارِدًا مَبْتَعِدًا .

(٢) نَهَارِ الْحَرِّ وَشُرُودُهُ : فِي الْحَرِّ الشَّدِيدِ نَهَارًا .

(٣) رُودُهُ : جَسَّ نَبْضُهُ وَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَدَى حَبِّهِ لِي .

(٤) أَمَائِرَ : أَمَارَاتِ

(٥) نَسَبٌ عَالِي : مَصَاهِرَةُ النَّاسِ ذَوِي الْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ وَالشَّرَفِ الرَّفِيعِ .

(٦) يَبْدُرُ : يَنْزِلُ السُّوقَ مُبَكِّرًا وَيَخْتَارُ . غَالِي : الثَّمِينُ مِنَ الْأَشْيَاءِ .

(٧) إِنْ التَّقَرُّبُ مِنَ الْخَسِيسِ سَوْفَ يَكْلِفُكَ كَثِيرًا مَهْمَا كَانَ رَخِيصًا .

المجموعة الثانية من الفتايات ترد :

- جَمِيل زَرْع زَنْجَبِيل فِي وَسْطِ غَيْطِ شَمَامٍ^(١)
 رَيْقُهُ كَمَا بَنْزَهِيرٌ .. وَقْتَ الصَّفَا لَمَامٍ^(٢)
 مَحْلَاكَ يَا حَلَو .. لَمَّا تَنْضَجُ وَتَنَامُ^(٣)
 تَسْبِلُ بَعِينِكَ مَعَ وَرْدِ الْخُدُودِ يَحْمَرُ^(٤)
 تَسْبِي بَنَاتِ الْعَرَبِ وَالتُّرْكِ وَالْأَعْجَامِ^(٥)

صياح وزغاريد

المجموعة الأولى :

- فَايْتُ عَلَى بَابٍ . شَفْتُ أَلْبَابٍ . تَاهَتْ الْأَلْبَابُ^(٦)
 وَاللَّى وَرَاءَ الْبَابِ . بِيَاكُلُ تَيْنَ مِنَ الْعَلْبَابِ^(٧)
 طَالَعَ الْعَصْرُ . يَتْبَاهِي بِمَسْكَ الْخَصْرِ
 وَيَقُولُ يَا نَصْرُ . شَوْفَ مَيْنَ اللَّيْ فَاتَعَ الْبَابُ
 حَبِيَّتُ ... وَيَا مَا يَفْتَرِي الْحَبَّابُ^(٨)
 مَا حَبِيَّتُ لَمَّا فَتَى جِسْمِي وَشَعْرِي شَابُ
 إِحْنَا سَمَعْنَا مَثْلَ مِنَ اللَّيْ قَبْلُنَا قَالُوا
 مَنْ مَسَّهُ الْحَبُّ . عَظُمَ الصُّلْبُ . رَقَّ وَدَابُ

(١) زنجبيل : له روائح زكية ، شمام : له نفس الرائحة .

(٢) الرَيْقُ : ريقه : طعمه . : والبَنْزَهِيرُ : الليمون وله نفس الرائحة الطيبة .

(٣) لَمَامٌ : يجمع الأخلاء والأصفياء بهذه الروائح الطيبة .

(٤) محلاك : ما أحلاك .

(٥) تسبى : تأسر : أى صرن سبائا وأسارى لجمالك .

(٦) فايْتُ على باب : بينما كنت ماراً أمام أحد الأبواب .

شفت ألباب : جمع لبّة . واللّبه هى موضع القلادة من العنق . أى شاهدت عنق فتاة جميلة .

تاهت الألباب : تاهت العقول .

(٧) العلبابُ : العُلب . أى من تقف وراء الباب تأكل التين من العلب ولا تهتم بأمرى .

(٨) الحَبَّابُ : المحبّ .

فايت على حبيبي كاسر الملاع الشال^(١)
واللى نظر ورد خدّه . رَوْحُوهُ مِنْشَال^(٢)
أبيض جميل المحاسن . والحلاوة فيه
إن شال بعين واحدة . تلاقى الحُسن ودلال
وإن شال برُخره . تقولوا وز العراقي شال^(٣)

فرحة .. رقص .. زغاريد .. تصفيق.

انهر أبو زيد بنيل مصر العظيم إنه نيل الكوثر أحال مصر إلى جنة خضراء وقف
أمامه مذهولاً مبهوراً فلم ير مياها بمثل هذا الفيضان إنه أعظم هبة من الله إلى أرض مصر:

أبو زيد : يا مصرُ دام النيلُ فى واديكِ
يجرى بخيرٍ فى ربّى شاطئكِ

الله أكبر يا كنانة ربنا
يهنيك قولُ رسولنا يهنيك

الأصلُ والحسبُ الرفيعُ تراهما
يُنبيك تاريخُ الألى يُنبىك

هذا شباب النيل ظلّ مدافعاً
عن أرضه متوائباً يحميك

(١) الملا : الملايه ترتديها النساء عند خروجهن.

الشال : غطاء أيضاً لرأس المرأة

(٢) مِنْشَال : فَقَدَ توازنه فخرَ مغشياً عليه . عندما نظر إلى جمالها .

فحمله المارة وعادوا به إلى بيته . وذلك بسبب نظرتة إلى ورد خدود تلك الجميلة .

(٣) وز العراقي شال : مشهور الوز العراقي بأجنحته الطويلة . وهو هنا يشبه ناعسة الأجفان إحدى أميرات السيرة الهلالية .

بطول رموش عينيها . رخره : الأخرى : رموش العينين لطولهما . وجمالهما مثل جناحى وز العراقي - أى جميلة العينين .

موسى الكليم أتى إليك مُطَهَّرًا
ونما ترعرع فى قصور ذويك

عيسى المسيح وأمه أتيا هنا
وهفوا إليك إلى ربى واديك

وأتى ابن يعقوب إليك مُحَصَّنًا
بركات أجداد له تهديك

أنجاه ربُّ الخلق من جُبٍّ ومن
حَسَدٍ ومن سوءٍ إذا يأتيك

أضحى عزيزاً فى بلادٍ أعزَّةٍ
ومجاوراً للخير فى أهليكَ

ونبيُّ طه البشيرُ محمدٌ
أصهاره قَبْطٌ وخيرٌ مُلوكُ

أهدوا إليه نجيبه قِبطيَّةً
نشأت بوادٍ أخضرٍ وضحوكُ

حملوا إليه الشَّهْد فى أقدانهِ
من أرض مصر شرابه يشفيكُ

يا مصر طابت أرضك الفيحاء لى
يهنيك نيلٌ كوثرٌ . يهنيكُ

عبر أبو زيد نهر النيل واتجه سريعا نحو الشرق. نحو بلاد نجد أرض هلال الفتية
وخلال شهرٍ منذ أن ترك تونس بدت له هضاب نجد .. أرضه وأرض أجداده .

أبو زيد : أهضابَ نجد تحيتي وسلامي
أهديك معطار السلام. سلامي

بالله يا ريح الأصائل بلّغي
شوقي لكل فتوةٍ ضِرغام

ثم أبلّغي عنى الحديث وكررى
نحو الجميع مطالبى وكلامى

قولى لهم أن الحبيب سلامة
أت ليوقفك كل قرمٍ حام

قولى لهم أبناء سرحان بقوا
فى سجن تونس وحشة بظلام

ثم أبلغهم أننى متوثب
وأطيرُ شوقا لا يطيبُ مقامى

على أعودٍ إليهمو فى سرعة
ولجمع جيش تغالب وكرام

وأحلبهم يقظا فى قياما رتبوا
جيشا كثيفا . ما همّو بنيام

ولتونس عودى أدق باطمّة
أبوأبها بالرمح والصمصام

المشهد الثانى

يتقدم أبو زيد نحو مضارب بنى هلال بنجد .. كما لو كان طيفاً . لقد فعلت به هذه الرحلة
الأفاعيل ، زاغت عيناه . وشحب لونه جوعاً وحُزناً . وازداد سواد وجهه . وتشققت شفثاه ..
سرى مجيئه بين القوم فى القبيلة كاشتعال النار فى الهشيم وجرى القوم كى يبلغوا السلطان
حسن والملكة شماء وعالية وأبناء أبى زيد .. هرع الجميع إليه متلهفين .

السلطان :

أجلسوه يا رفاق يسـتريح

أحد الواقفين: أجلسوه أجلسوه ساداتى

يبدو أبو زيد مبهوتا ولا يدرى ماذا يقول :

السلطان دعوه .. دعوه .. ألا يا رفاقى

دعوه .. دعوه .. أيا ساداتى

ثم يلتفت إلى أبى زيد: وأين الرجال أبـا زـيدنا؟
تكلّم أبـا زـيد لا تصنّمـتـ

شماء : أبـا زـيد أين بنـى ؟ تكلّم

بنـى .. بنـى .. أيا شقوتى

إحدى بنات أبى زيد: أيا أبتاه !! تكلّم .. أبـنـ

خضراء الشريفة : رويدا .. رويدا .. على مهجتى

يدخل زيدان سريعا مهرولا ويرتمى تحت أقدام خاله باكيًا ثم يقبل يدي أبى زيد ويربت على
كتفيه متقربًا

السلطان حسن وأمه شماء :

أبـا زـيد ماذا فعلت بهمـ

تكلّم .. أبـنـ .. ولا تصنّمـتـ



أبو زيد يخرج عن صمته ويتحدث وكأنه أحد رجال أهل الكهف :

فَقَدْ تَمَّ بَنِيكُمْ ∴ أروني صياحا
وماتوا جميعا ∴ أروني بكاء
وولوا جميعا ∴ أروني نواحا

الأم شماء :

ويُح لنا ∴ ويُح لنا

وتبكي الأم بدمع غزير تسأل أبا زيد :

أبا زيد أين النجوم الزُّهُر ؟
وأين الشُّموس ؟ وأين القمر ؟

وأين عيوني ؟ وأين قلبي
وأين رفاقي منذ الصَّغَر ؟

ثم وهي تضرب كفًّا بكفٍّ باستغراب :

وهل طاوعتك يدك لترمي
بأكبادنا في عميق الحُفَر ؟

أحد الواقفين :

عزاء .. عزاء .. أساطنا
نعيش ومن موتنا لا مفر

السلطان شاردًا :

أشماءُ إليك سجالاً بدمع
ويا عين سحى الدُّمُوع الغُزُر

نعم يا أميرة !

أبو زيد :

أأحياءهم ؟

شما تسأل :

يعيشون فى بلد طيب

أبو زيد مؤكداً :

نعم يا أميرة أحياءهم
وعودتهم ذا منى مطابى

عهدتم على صدوقا ودودا
فأين الحقيقة ؟ لا تكذب

الأم :

بسجن الزناتى فارقتهم
لأجمع جيشا وذا ماربى

أبو زيد :

سأجمع من شرقها غيها
جيوشا لتبرق فى الأرحاب

وقلت بموتهم أسودت
... كبار الرجال وأم الصبى

لبدق طبول لجمع رجال
باشراق الشمس للمغرب

سلامة قال بقول صدوق
نذرت حياتى .. فلا تعتبنى

حياتى لكى أسعد بديك
يعودون لآلام فى موكب

الأم بفرحة غامرة .. وكأنما ردت إليها روحها بحياة أبنائها الثلاثة :

أَلَا أَجْمَعُ أَبَا زَيْدٍ كَمِ مِنْ رِجَالٍ
نَدَبُ خُطَانَا إِلَى الْمَغْرِبِ

أبو زيد :
أشـمـاءُ سـوف تـرـينَ بـنـيـك
ويا حـربُ .. يا نارُ .. هـيـا انـشـبـي

مـن الـيـوم لا نـومَ . لا قـولَ . لا
رُغـاءَ . بل النَّارُ هـيـا اطلـبـي

أُسـودُ الصَّحـارى وفـى قُـوَّةٍ
ونـسـاب للثَّـار كالثَّـغـلـبِ

شـمـاء :
أَلَا يـا نـسـائـيَ هـيـا اجـمـعـوا
جـوا هـركـن . بـفـعـلٍ أبـي

جـمـيع النـسـاء :
وكـلُ ثـمـينٍ و غـالٍ فـداءٍ
لأبـنـاء سـلـطانـنا الطَّيِّـبِ

بأرواحنا نفتدي يونسًا
ويحيى ومرعى مـرى واطلبي

شـمـاء بـين الضـحـك والبـكاء :

أرى الـيـوم أبـنـائـي فـى اعـتـزازٍ
ويحـمـيـهمُ الله فـى المـغـربِ

الجـمـيع يـردـدون ثـانـيـة:
بأرواحنا نفتدي يونسًا
ومـرعى ويحيى فهـيـا اطلـبـي

بنات الأشراف

حمَاهُمُ إِلَه رَعُوفٌ رَحِيمٌ
كِيُوسَفُ فِي السَّجَن - إِبْنُ النَّبِيِّ

وَرَبُّ الحَطِيم . وَرُكْنٌ يَمَانِي
وَزَمْزَمٌ فِي البَلَد الطَّيِّبِ

أخذ رجال بني هلال وشبابها يتنادون للحرب والجهاد والثأر بعد هذه الأحداث السعيدة المفرحة:
زيدان يخاطب أبا زيد :

أَلَا فَاسْنُجْدُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَا
سَنَلْقَى دَائِمًا نَصْرًا مُبِينَا

وَلَا تَجْزَعُ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي
سَنُنْقِذُ أَهْلَنَا مَسْتَبْسِلِينَا

هَمُّوا غَدِرُوا بِجَبْرِ كَمْ يَقَاسِي
ومرعى ثم يحى فى مَاسِي
ويونس ابننا الغالى نواسي
ولا نرضى بجهل الجاهلينا

دياب :

قَبِيلَةٌ تُغْلِبُ فِي الحَرْبِ صَالَتْ
وَجَوْلَاتُ لَهَا بِالنَّصْرِ بَاتَتْ
وَكَمْ مَلِكٍ شَكِمْتُهُ وَلَانَتْ
وَكُنَّا دَائِمًا حَصْنًا حَصِينَا

الطوى بن مالك :

وَفِي حَرْبٍ لَنَا مِنْ بَعْدِ حَرْبِ
وَضَرْبٍ فِي الْأَعَادِي أَيْ ضَرْبِ
فَكَيْفَ بِنُغْلِبُ يَحْظِي بِكْسَبِ
وَكَيْفَ بِكُلِّبِهِمْ دَاسَ الْعَرِينَا

السلطان حسن :



بدير بن فايد :
أبا زيدٍ فلا تَعَجَلْ عَينَا
فإن الحربَ تقضى ما رأيتَا
سنجمعُ كل مخزونٍ لِدِينَا
ستعلمُ حميرٌ خبراً يقينَا

زيدان :
سندخلُ أرضهم شرقاً وغرباً
وسوف نُميتهم خوفاً ورعباً
ونأخذُ حقنا علناً وغصباً
أليسوا عن هلالٍ غافلينَا ؟

دياب :
تري منّا غداً حُسنَ الفَعَالِ
تري منّا التَّقَانِي . لا تُبَالِي
سياقوا جُنْدنا جُنْدًا عوَالِي
سنكتبُ نصرنا .. نصرًا مُبينَا

أحد الفرسان :
سنعدو بالخيولِ مُضمراتٍ
بفرسانٍ عليها مُسرعاتٍ
ومُردٍ فوق جُردٍ سابحاتٍ
لنشرحَ حربنا لهمو فنونا

السلطان :
لقد كان ابن كلثوم عظيمًا
وكان قباؤه بيتًا كريمًا
وقال بشعره دُرًا نظيمًا
[أبينَا أن نقرَّ الذُلَّ فينَا](*)

* الأبيات التي بين الأقواس من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي وهو أحد أجداد قبيلة بني هلال .



الطوى بن مالك : هلال يا ذوات المجد هيا
قبلا تكم سامت ذكرا عليا
وما استعصى على قومي عصيا
إذا الإقدام كان لنا قرينا

زيدان : فتوحات بطولات تواليت
سامت بنضالنا للحق قامت
تدانت للخلافة فاستدامت
وكان العدل خير الناصرينا

أحد الفرسان : ألا يا نجد يا مهد الكرام
سلام . إنني أهدى سلامي
أحبك في بعاذي أو مقامي
وعشت بلادنا حصنا حصينا

السلطان : سلام الله يا مرعي سلامي
سلام الله يا يحيى سلامي
سلام الله يا يونس سلامي
وصبرا حين نلقاكم يقينا

جبر القرشي : سلام الله يا ورد البهاء
سلام الود في أنقى ضياء
إلى الله التجائي واحتمائي
وقالك الله رب العالمينا

أبو زيد : ألا يا زناتي دغ عنك الغرورا
جلبت لتونس حربا شرورا

تَمَلَّكَتِ الْأَرْضَى وَالْبَحْرَ
وَفَجَّرَ الْحَقُّ أَوْشَكَ أَنْ يَبِينَا

جبر :

وَقَاسَمُ كَانِ صِهْرًا لِي وَدُودًا
وَكَا نَ لِنُصْرَتِي رَجُلًا فَرِيدًا
وَقَدَّمْ رُوحَهُ أَضْحَى شَهِيدًا
مَعَ الْأَبْرَارِ وَالْمُسْتَشْهِدِينَ
شَرِيفَاتٍ صَبَايَا أُمِّ سَبَايَا
شَرِبْنَ الذُّلَّ أُمِّ كَأْسِ الْمَنَايَا
عَلَى أَيْدِي صَعَالِيكِ هَفَايَا
صَبَايَا الْعِزِّ أُوْدِعْنَ السُّجُونَا

أحد الفرسان :

أَلَا يَا قَائِلًا عَذَبَ الْمَعَانِي
أَلَا يَا بَاعِثًا فِينَا التَّفَانِي
أَلَا يَا جَيْشُ أَسْرَعَ لَا تُؤَانِي
[وَنَحْنُ الْعَازِمُونَ إِذَا عُصِينَا]

آخر :

أَلَا يَا قَائِلًا عَذَبًا كَلَامًا
سَلَامًا يَا ابْنَ كَلْثُومٍ سَلَامًا
سَلَامًا قَدْ عَلَا وَسَمَا مَقَامًا
[وَنَحْنُ الْآخِذُونَ لِمَا رَضِينَا]

ثالث :

أَلَا يَا قَارِئًا لِمَعْلَقَاتِ
صَنُوفِ الشَّعْرِ مِنْ مَاضٍ وَآتِ
أَلَا فَاقْرَأْ عَظِيمَ الْمَبْدَعَاتِ
[وَأَنَا الْمَهْلِكُونَ إِذَا ابْتُلِينَا]



فارس :

أَمَا قَرَأُوا لَنَا فِي الْغَرْبِ شَعْرًا
يُضِيءُ بَلْبَانَا كَالنُّورِ بَدْرًا
تَسَامِي قَوْلِهِ عِزًّا وَفَخْرًا
[وَأَنَا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شَيْنَا]

السلطان :

مَهْلَهْل جَدُّنَا وَكَذَا كُلِّيبُ
مَنْبِيعُ مَلَكُوتِهِ أَرْضُ وَشَعْبُ
جَلِيلُ أَصْلِهِ شَرْقُ وَغَرْبُ
[وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا]

أحد شعراء القبيلة :

خَتَامًا يَا أَبَا زَيْدٍ أَلَا أَسْمَعُ
خَتَامَ الشَّعْرِ يُمْتَعُنَا وَيُمْتَعُ
مَعَاقِلَةُ الْقَوَافِي ثُمَّ أَتْبَعُ
سَوَاعِدَنَا تَجُودُ وَلَنْ تَلِينَا

[مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا]
[وَنَحْنُ الْبَحْرُ نَمْلُؤُهُ سَفِينَا]
[إِذَا بَلَغَ الرُّضْيَعُ لَنَا فِطَامًا]
[تَخِرُّ لَهُ الْجِبَابِرُ سَاجِدِينَ]

المشهد الثالث

اجتمع الرجال يرتبون للحملة والتوجه إلى الغرب . إلى تونس وأقبلت كل نساء القبيلة يحملن حُلِيهِنَّ وجواهرهنَّ . كميات كثيرة من الذهب الخالص والأحجار الكريمة لإعداد الجيش ..

انبهر كبراء القوم من الرجال والقادة مما حدث من النساء

خضراء الشريفة : هَذِي قلائدنا استلمها يا أمي —
رى مَهديات من جميع السَّيداتِ

سيدة أخرى : أبناؤكم أبناؤنا فلذات أكن —
بادِ لنا كانوا بنيِّنا أم بناتِ

سيدة أخرى : لا تدمعي شَماعنا يا أختنا —
يا زين كلَّ الأمَّهاتِ القانتاتِ

القاضي بدير بن فايد : قُمْ يا حسنُ هيَّا أمير العُرب قُمْ
حَيَّ السَّجايا البيضَ في تلك الصفاتِ
هَذَا مقامٌ للرجالِ تزيْنُهُ
خيرُ النساءِ مُروءةً والفضلياتِ

قم يا أميري واستجب متفضلاً
واقبل هبةً للجيش الزاخراتِ

أبو زيد لزوجته : يا زوجتي وحببتي أتلجتِ صد —
رى دائماً زين النساء المحصناتِ

دياب لزوجته : يا زوجتي أسعدتني ورفعتِ رأ —
سى عاليًا دوماً أزين السيداتِ



ابن قديم الرأى يرد بصوتٍ عالٍ ويسجل فى الدفاتر أمامه:

يلهم مثلهم يلهم .: وقائد ذو تبصرة

أبو زيد :

تسعون ألف فارس .: نيرانهم مسيطرة

ابن قديم الرأى يرد بصوتٍ عالٍ ويسجل :

تسعون ألف فارس .: نيرانهم مسيطرة

أبو زيد :

رابعهم مثليهم .: فصائل معسكرة

ابن قديم الرأى يرد ويسجل :

رابعهم مثليهم .: فصائل معسكرة

لا تبتئس يا سيدي .: أموالنا مكثرة

أبو زيد :

جياذهم أصيلة .: خفيفة مضامرة

سيوفهم مصقولة .: مسلولة مقتدرة

رماحهم خطيئة .: عسالة مؤبرة

دروعهم حصينة .: حلقاتها مزررة

هذا سلاح جيشنا .: بنى هلال الماهر

أبلغ أمير الميمنة .: كذا أمير الميسرة

واحصوا جمالا للقبية .: لة كم ألوف سائرة

كم ألف ألف عددهم ؟

بنات الأشراف

ابن قديم الرأى : إثنان فوق العشرة (*)

السلطان : هيا أعثوا أمركم

ابن قديم الرأى : أوامر موقرة

أبو زيد : سـ يوفهم ؟

ابن قديم الرأى : أعـ دت

أبو زيد : رمـ احهم ؟

ابن قديم الرأى : ركـ ت

أبو زيد : جنـ ودهم ؟

ابن قديم الرأى : درـ ت

أبو زيد : سـ هامهم ؟

ابن قديم الرأى : قدـ سـ نـ ت

أبو زيد : تروسـ هم ؟

ابن قديم الرأى : قدـ شـ دت

يقف السلطان حسن أمام شرفة قصره ممتطيا جواده ينظر إلى أمراء بنى هلال وهم يقفون جميعهم أمام أمير الجيوش .

أبو زيد : اليـ وم نـ د سـ واعدنا

الجميع : لنـ د شـ باب هلالينا

أبو زيد : اليـ وم نـ د مآثرنا

* كان مع الجيوش ١٢ مليون جمل لزوم الأحمال والذبائح وخلافه .

بنات الأشراف



- الجميع : بالجود تسـيـلُ أياديـنا
- أبو زيد : اليـوم لُنـكـمـلَ مِنهاجـنا
- الجميع : قـد سـار عـلـيـه أواليـنا
- السلطان : لا تـخـتـافـوا بـل فـاجـتـمـعوا
- الجميع : للـحـق تـسـيـرُ معاليـنا
- السلطان : القـوـة رـمـزُ أوائلـنا
- الجميع : سـل حـاضـرنا عـن ماضـينا
- السلطان : والله يباركـنا سـسـعـيـا
- الجميع : للـحـق نـدبُ خـطاويـنا
- السلطان : هـيـا .. هـيـا .. سـيـروا .. سـيـروا
- الجميع : بـركـات الله وتـهـديـنا



تتحرك مقدمه الجيش بين قرع الطبول وصهيل الخيل وزغاريد النساء بفرحة النصر المرتقب.

ابن قديم الرأى فى مقدمة الجيش يحدو والمقدمة ترد عليه :

ابن قديم الرأى : يا هـالـئـنا

المقدمة : جـدنا الأرب

ابن قديم الرأى : يا إلهـنا



- المقدمة : خيرَ من وهبُ
- ابن قديم الرأى : امنحنَّا اَلْـ
- المقدمة : نصر والغلبُ
- ابن قديم الرأى : يا لجيشنا
- المقدمة : منظرٌ عَجَبُ
- ابن قديم الرأى : يا مهلهلُ
- المقدمة : خيرَ من غلبُ
- ابن قديم الرأى : اننَّا هنا
- المقدمة : صفوةُ العربُ
- ابن قديم الرأى : عمرو بن كُـ
- المقدمة : ثومٌ لا تعبُ
- ابن قديم الرأى : إن عزنا
- المقدمة : قارب الشهبُ
- ابن قديم الرأى : ثار جيشنا
- المقدمة : ثأرُهُ وجبُ
- ابن قديم الرأى : غارُ نصْرِهِ
- المقدمة : أينما ذهبُ

النساء على الجمال فى الهودج يصفقن ويغنين على نفس القافية:

بنات الأشراف



مجموعة ثانية :

مجموعة أولى :

يَا رَجَالَنَا	::	كُلُّ مُنْتَخَبٍ
مَوْجُكُمُ كَمَا أَلْـ	::	بَخْرٍ ذِي الْعَبَابِ
يَا كَبِيرِنَا	::	يَا أَخَا النُّجُبِ
إِعْلُ دَائِمًا	::	وَأَبْلُغِ الْأَرْبَ
دَائِمُ الْعَطَا	::	يَا إِذَا وَهَبَ
إِنَّ جُنْدَنَا	::	مَا بِهِمْ سَغَبَ
مِنْ لِبَانِنَا	::	كُلُّهُمْ شَرِبَ

شما تشیر بسبابتها إلى الغرب والنساء يجاوبنها :

النساء :

شما :

يُونُسُ بَدَا	::	وَجْهُهُ الشُّهُبُ
مَرْعَى بَدَا	::	قَلْبُنَا انْجَذَبَ
يَحْيَى مُهَجَّتِي	::	اصْطَبِرْ ارْتَقِبْ

جبر القریشی علی حصانه :

وردة البهـ	::	يا ذات القشـ
في بُعَادِكَ الـ	::	جَمَرُ وَاللَّهَبِ
إِنَّنِي عَلَى الـ	::	عَهْدِ ارْتَقِبْ
يا بنات الأشـ	::	رافِ يا عَرَبِ
أَبْعَثِ السَّلا	::	مَ مَعَ السُّحْبِ

فَاكُ اسْرِكُنَّ بَدَا وَجَبْ

طَيَّرَ رَجَدْنَا :: طَرَمَعَ الشُّهُبُ

خُذْ إِلَى أَحْيَائِي الْكُتُبُ

إِنِّي طَرِبَ :: إِنِّي طَرِبَ

بنات الأشراف



أبو زيد : يا جيوشنا :: جَدُّ لا ريبُ
ففى صدورنا :: ثَارُ التَّهَبُ

المقدمة : أيُّها الزَّنا :: تىُّ يا غلبُ
جيشنا على الـ :: حَقُّ والأدبُ
كلنا إلى الـ :: حَرْبُ مُتَدَبُ

أبو زيد : ما جوابكم ؟ ::
الجميع : غَرِبُهُمْ غَرِبُ

جبر القرشي : إِنَّ حَمِيرَ ::
الجميع : يومُها اقْتَرَبُ

جبر القرشي : عَرَشُ تَوْنِسِ ::
الجميع : أَشْرَافُ عُرْبُ

جبر القرشي : لا تَسْـامُحْ ::
الجميع : صَـبَرْنَا ذَهَبُ

جبر القرشي : يا رجالنا :: إِنْنى طَرِبُ
الجميع : تَوْنُسُ لَنَا :: حُكْمُها وَجَبُ
عَوْنُنا لها :: حان واقْتَرَبُ

الفصل الثاني

المشهد الأول

الجازية بنت الملك سرحان ملك بنى هلال . وشقيقة السلطان حسن سلطان بنى هلال وشقيقة الأمراء مرعى ويحى ويونس كانت متزوجة من أمير العراق الشريف (شكر بن هاشم) وكان زوجها يحبها حباً جماً لا حدود له. أنجبت له حامدة ومحمد. وتعيش معه فى رغدٍ من العيش لا يُكدر صفو حياتهما شئ .

وكان رجال بنى هلال وسادتهم يشاورونها فى أمورهم لرجاحة عقلها . إرتأوا أن غياب أخوتها مرعى ويحى ويونس ووجودهم فى سجن تونس أمر مهم جداً وهل هناك أمر أهم من ذلك ؟

إذن فلا بد من مشورتها فهى فى رأيهم لها ثلث المشورة وهذا حقها الطبيعى علاوة على حنكتها ورأيها الصائب كما أسلفنا ورأى قادة بنى هلال ضرورة التوجه أولاً إلى العراق لإعلامهما بما جرى وبما هم مقدمون عليه فربما ترغب هى فى السفر معهم . ورأى بعضهم أن لها زوجاً وأبناءً صغاراً ولا داعى لأخذها ورأى آخرون ضرورة أخذها حتى لو رفض زوجها. وصلت الجيوش إلى بلاد العراق وعلمت الجازية بالأمر ففضّلت السير مع أهلها لتشارك فى إنقاذ أخوتها .

وتحركت الجيوش - جيوش بنى هلال والجازية معهم - جيش عبارة عن "أربع تسعين ألف" من المحاربين الفرسان وإثنا عشر مليون جمل وناقة - بما عليها من أحمال . ومعهم أسرهم من النساء والأطفال والخدم والعبيد . وعلى رأس الجميع السلطان حسن . سلطان بنى هلال . وأبو زيد الهلالي سلامة قائد تلك الجيوش. ومعه الأبطال المغاوير . دياب بن غانم قائد الزغابة، وزيدان بن زيان العرب، والطوى بن مالك والقاضى بدير. واصطحبوا معهم الخفاجى عامر - وكل أبطال بنى عامر وعظمائها.

ووصل بنو هلال بقضّهم وقضيضهم إلى مشارف تونس وعسكروا فى أرض عفيف بعيداً عن سور المدينة تمهيداً للتقدم إلى المدينة لنجدة مرعى ويحى ويونس وكذلك إنقاذ بنات الأشراف من أسرة جبر القریشى.

فى أرض تونس فى مجلس الزناتى خليفة

الزناتى يحدث نفسه:

قَدْ هَجَمْنَا مِنْ سَنِينِ
وَاقْتَحَمْنَا أَرْضَ تُونِسْ
وَأَخَذْنَا بِهَا بَعْدَ
يَا لِبُؤْسٍ وَمَضَرَّةٍ

كَمْ قَتَلْنَا مِنْ رَجَالٍ
كَمْ سَجَنَّا مِنْ بَرِيءٍ
دُونَ أَنْ نَرَى أَمْرَهُ
يَا أَبَا سُوءَةِ زُجْرَةٍ

وَبَنَاتِ الْعُرْبِ قَسْرًا
قَدْ سَدَّ جَنَاهُنَّ عَمْرًا
بَاكِياتٍ نَائِحَاتٍ
يَا لَخِزْيٍ وَمَعْرَةٍ

ثُمَّ أَبْنَاءَ الْمَشَارِقِ
يُونُسَ مَرَعِي وَيَحْيَى
لَمْ نَقْمْ لِلثَّأْرِ وَزُنَا
وَسَدَّ جَنَاهُمْ بِقَهْرَةٍ

صدى صوت من بعيد هو صوت بنات الأشراف السجينات :

يَا زَنَاتِي .. يَا زَنَاتِي
تَعْتَبِرُ الْقُحْرَ سِجَالًا
مُطْلَقًا دَوْمًا سَلَاخًا
مَرَّةً .. مَرَّةً .. مَرَّةً

إِنَّ مَنْ يوقِدُ نَارَ —
حَقُّ دِيبِينَ القُومِ مَرَّةً
سوف ترتدُّ سَهَامُهُ
ويصيب السَّيِّئُ نَحْمُ نَحْمُ رَّةً

قَدْ زَرَعْتَ الشُّوكَ يَوْمًا
ورويُّتَ بِدُمَاءِ
وَقَتْلِ دُونَ رَحْمَةٍ
فاحصُودنَّ اليَوْمَ مَرَّةً

وهكذا كانت حياة الزناتى غير مستقره ونومه ملئ بالكوابيس والأحلام المزعجة. لديه شعور خفى بداخله بأن أشراف تونس لن يسكتوا ولن يخضعوا بعد أن انتزعت منهم تونس.

إنه ليعلم أنه أتى إلى تونس هو وبنو حمير حُرَّاسًا - خفراء للأشراف ، فوثبوا عليهم وانتزعوها منهم . فأصبح يرى فى نومه أحلامًا مزعجة وكوابيس مخيفة .

صحا من نومه ذات صباح وهو فى همٍّ وكرب وخوف ، ونادى على المقربين منه من الرجال يقص عليهم حلمًا مزعجًا رآه فى نومه فأتوا إليه [بالرَّمَال] يخط فى الرمل أمام وزراء الدولة ويحاول أن يجد تفسيرًا لما يسمع من حلم الزناتى المزعج .

قال الراوى يا سادة يا كرام [صوت الراوى بالربابة] :

قال الزناتى : خليفة بن شَمَخ ابن حمير .. والعقل مِنْهُ راح

رَمَّال يارَمَّال . أنا رأيت منامًا .. أقلق راحتى .. والخلى مَرْتاح

رأيت بحر النيل .. أتى لأرضنا .. عمَّ البلاد يا أمير .. على الأراضى وساح

والبحر ياساداتى .. فيه المراكب تجرى .. مع الأرياح

وفيه مراكب .. فى البحر راسيه .. وفيه مراكب .. جريها بصباح

وقفت أتطلع .. ع البحر بالنظر .. نظرت بعيونى .. شُفْتُ أنا تمساح

تمساح على برّ تونس .. وكل من اقترب منه .. يخطفه التمساح

قربت م التمساح .. لأن أصيد .. هجم على ياناس والدم منى ساح

ماذا ترى يا أمير؟ وعليك أمان الله .. الواحد الفتاح؟
قال له العلام .. مفسر الأحلام .. منامك حقيقة ..
وظهر فى أرضنا .. على الحدود يا زناتى .. الحرب يا جججج

البحر اللى أنت شفته .. عرب الهلاية .. ناس كثير ملاح
أما الفتى التمساح .. دياب بن غانم .. أمير العرب بسلاح
ومعاه أبوزيد .. أمير الجيوش .. العبد للى .. كان حدانا وراح
عرب هلاية .. أربع تسعين ألوف .. خيولهم مضمرة .. وحاملين سلاح

أبا سعدة يا زناتى .. مضت ليالى الصفا .. وبهجة الأرواح
وأنت ليالى الضنى .. والهوى يا صاحبي .. مسا وصباح

فات المساياناس .. نمت على غنوة .. البلبيل الصداح
أين الزهور انتشت .. فى أرض تونسنا .. فى سندس فياح

هل يا ترى نمتى .. فى الحرب يا زناتى .. وفى الصدور رماح
هل يا ترى نمتى .. بعد الهنا والسعد .. حاضنين سلاح
هل يا ترى تاتى .. نساونا تبكى .. وكابة الأثر

يا قومنا هيا .. هيا اغلقوا تونس .. أبوابها العشرة .. بالرتج والمفتاح
هيا اجمعوا جيش .. نفيك تونسنا .. بالسيوف صفاح
لا دمع لا شوى .. لا مدمع سحاح ..



فى أرض عفيف عند مدخل تونس وقد امتلكها بنو هلال ونزلوا بها بقضهم وقضيضهم
وانتشر عشرات الآلاف من فرسانهم فى هذه المنطقة الجبلية وفيها أحراش تقطنها الوحوش -

وهذه المنطقة تحت حكم أحد إخوة الزناتى وإسمه (جايل) - فتقدم جايل لحرب بنى هلال ودبر خطته بسرية وهجم على خيام هلال فجأة .

جايل :

هيا لحرب الأعدى .: نسعى لهم بخميس(*)
هيا شباب المريّة .: نسعى لهم بوطيس

قائد الجيش : أتوا إلينا سراعاً .: لا ننتصر بجلوس
هيا بنا لسباق .: لحرب يوم عبوس

جايل : هيا بنا فى ظلام .: وظلمة ونحوس

القائد : ظلام الليالى بأسرارها .: دعتنا لإشعال نيرانها
وهيا جميعاً لسفك دماء .: وهيا لحرب بطوفانها

فارس : سنخطو إليهم بائـل بهـم
همـو بـو بدأونا بعـدأونها

تعدّوا علينا بـدون نـذير
وجايـل يـبـدو كغضـبانها

جايل : أعدّوا الجيـوش لـدرء عـدوّ
بـأمر الزنـاتى وسـلطانها

سنغـدوا إذا ما ادّلهـم ظـلام
وجـال النـعاس بأعيانها

* الخميس : الجيش . ميمنة وميسرة ومقدمه ومؤخره وقلب .

نُغِيرُ وفى هَذَا مَنْ مَسَاءٍ
وَدَفَّ المَنَامَ لَغْلَانِه

لِنَسْطُوا ونَاسِرُ كَمْ مَنْ رَجَالٍ
وَنَسْطُ بِي نَسَاءً بَغْلَمَانِه

أحدهم : وَهَذِي خِيَامٌ بِهَا كَمْ نَسَاءٍ
فَهَيَّاهَا نَبِيٌّ دُ بَأْرَكَانِه

جايل : أَسِيلُوا دَمَاءَ شَبَابٍ هَلَالٍ
وَقَتْلًا وَنَسْطًا لَوْلَا دَانِهَا

تَقْدَمُ هُنَاكَ إِلَيَّ مَيِّمِنٍ
وَأَنْتِ عَلَيَّ بِشَرِّ يَمَالِهَا

ويتقدم جايل بمئات الفرسان نحو الخيام وما بها من رجال ونساء وأطفال . فقتل من قتل ..
وسبا ثلاثين امرأة وفتاه

جرى الناس لإبلاغ أبي زيد :

ثَلَاثُونَ مَنْ فَتَيَاتِ الْحِجَالِ
بَكِيْنٌ بِدَمْعٍ كَتَهْتَانِه

شَبَابُ هَلَالٍ وَفَتَيَانِه
تَتَنَادَوُا سَرَّاعًا بِغَضْبَانِهَا

صَحَوُا كَالْأَسْوَدِ عَلَى نَائِحَاتِ
سَبَايَا الْبِلَادِ وَرِيحَانِهَا

وصاح أبو زيد هذا ابتداء
لحربٍ وهـمٍ لبنيانها

أبو زيد يصرخ :

شباب هلال الشَّبابِ الأغـرّ
أغيثوا الظُّبـاء .. لكى ننتصر

عشرات ومئات من الفرسان يركبون متواشين متأهبين :

أبا زيد ماذا جرى يا أميرى ؟

أبو زيد : أغيثوا أغيثوا الشبابُ الأغـرّ

فارس : أتى من زناتة من يجترى
فهيا إليه .. إلى المشـتـجر

أبو زيد فى أيجرو ذئبٌ دخول عـرين
استنكار: ونحن الأسود وجنُّ البشر ؟

هلموا .. هلموا .. ألا يارفاقى

فقد فاض بى الكيل

فارس : لا تنتظـر

أبو زيد : حُـمـت ليـالٍ بخـوض حـروب
لأثـار مـنهم .. فيـا للضـجـر

إلى أن تغابوا وجاعوا إلينا

يريدون حرباً

فيا للقدّر

فارس :

أريدُ بروقاً وقد دمّدتُ
فهياً إليهم .. شـباباً نضراً

أبو زيد :

مئاتُ أتوننا وفي ظلمةٍ
فلانّ هياً قُبيلَ الفجرِ

وكيف نبئتُ على ثأرنا
وتغلى الصدور كنار سقرِ

وجايل هذا أثار اشتياقي
فلحرب هيا .. شـظايا الشرِّ

بدأتُ أيّا جايلُ بالهجوم
خطفتُ الصّبايا .. هتكتُ السُّترَ

إليكَ نطيرُ كبرقِ سِراعاً
إليكَ شـباب هلال انتشرَ

أبا زيد هاهُم أراهم بعينِي

أحدّهم :

وهذا صُراخ الصّبايا الدُّرّ

آخر :

عليك السلام أيّا جايلُ
وآنَ الرحيـلُ لنـارِ سـقرِ

جايل وقد سمع كلام أبي زيد ومن معه :

أَعْبَدُ وَيَجُرُّ أَنْ يَتْبَعَنِي
جَالِبُ النَّخَاسَةِ مُنْذُ الصَّغَرِ

أَلَا تَذَرِ مَنْ جَايِلٌ يَا فَتَى ؟
أَنَا ابْنُ الزِّنَاتِي كَثِيرُ النَّفَرِ

وَنَحْنُ الْأَسْوَدُ . أَيَا عَبْدُ فَاعَلَمْ
وَجَرَّدَ حُسَامَكَ لِلْمُشْتِجَرِ

جَرَأْتُ عَلَى . أَخَذْتَ نِسَائِي
وَعَبَّتَ سَوَادِي . لَهْ تَحْتَقِرُ

أبو زيد :

وَأِنِّي أَبُو زَيْدٍ أَصْلِي عَلَى
كِفَاكِهِ فِي أَعَالِي الشَّجَرِ

وَفَرَعِي أَنْتَمِي لِكِرَامِ الْقَبِيلِ
وَمَنْ ذَاقَ حَرْبِي وَضَرْبِي سَكَرَ

أَبِي هُوَ [رَزَقُ بْنُ نَائِلٍ] أَمِيرٌ
يَقْوُدُ الْحَرُوبَ بِكَرٍّ .. وَفَرٍّ

إِلَى الْعُرْبِ أَصْلِي أَنْتَمِي وَارْتَقَى
وَطَنَهُ نَبِيِّي رَسُولُ الْبَشَرِ

ضَمَمْتُ افْتِخَارًا بِأَطْرَافِهِ
فَدِينُ السَّلَامِ . وَأَعْلَى الْأَسَرِ

جائل : تَأَدَّبُ أَيَا عَبْدُ .. هَيَّا لِحَرْبٍ
لَأَجْعَلَ قِتْلًا كَإِحْدَى الْعَبَرِ

أبو زيد : تَقَدَّمْ إِلَيَّ . أَبِنْ لِي فَنُونًا
تَعَلَّمْتَهَا . يَا زَنَاتِي الزُّمَرُ

وَدَعَاكَ مِنْ الْقَوْلِ هَيَّا لِحَرْبٍ
وَهَيَّا لِفَنٍّ .. وَكُرٍّ .. وَفَرٍّ

جائل يرسل برمحه بكل قوة نحو أبي زيد :

إِلَيْكَ الْمَنَازِلُ .. إِلَيَّ التَّهَانِي
وَأَهْدِي إِلَيْكَ بِقُصْفِ الْعُمَرِ

أبو زيد وقد احتضن بطن جواده فذهب الرمح سدى

جَهْلٌ جَهْلٌ .. بِحَرْبِ الرِّجَالِ
صَغِيرٌ غَبِيٌّ .. سَقِيمُ النَّظَرِ

يرسل جائل بالرمح الثانى فيقفز أبو زيد من فوق حصانه ليمر الرمح بسلام

أبو زيد : أَجِئْتُ تَحَارِبُنِي بِفَنُونٍ
عَلَيْهَا الزَّمَانُ عَفَا وَأَنْدَثَ ؟

أَلَيْسَ بِتَوْنَسٍ فَنٌّ حَدِيثٌ
لِحَرْبِ الرِّجَالِ . جَهْلٌ الْفَكَرِ

فَهَيَّا أَرِينِي فَنُونَكَ هَيَّا
أَنَا فِي أَنْتَظَارٍ . وَمَا أَسْتَتِرُ

جايل يرسل الثالثة :

وثالثةً فى الصُّدور لَهَا
أزيرُ فهَيَّا لنا سَـقَرُ

أبو زيد يلتقط الرمح المسدد إليه بقوة بكلتا يديه ثم يثنيه بيديه ويصنع منه دائرة . ثم يقذف بها إلى أعلى نحو جائل فتسقط عليه وقد دخل رأسه فيها . فيتضاحك القوم فى سخرية من جائل

أبو زيد وهو يتمايل على فرسه بثقة أمام الجميع :

أُنْظُرْ لِمَحَاتِي . . . أُنْظُرْ لَضَرَبَاتِي
أُنْظُرْ لِهَجَمَاتِي . . . وَأُنْظُرْ لَوَثْبَاتِي
وَأُنْظُرْ لِكِرَّاتِي . . . وَتِلْكَ فِرَّاتِي
إِلَيْكَ قَفْزَاتِي . . . وَأَسْمَعُ لَصَرَخَاتِي

ويهجم عليه أبو زيد صارخا فيقتلعه من فوق سرج فرسه ويرفعه عاليا بكلتا يديه ، ويرمح بفرسه بكل سرعة مبتعداً عن الجميع ثم يعود بنفس سرعته مقترباً من الجيش ويقذف به بكل قوة على الأرض فأزهق روحه .

صياح وصراخ فى جيش جايل . وزغاريد صبايا هلال ثم هجوم كاسح من جيش بنى هلال على جيش جائل فقتل من قُتل وفرّ من فرّ - ويعود أبو زيد مع جيشه بالصبايا إلى خيام بنى هلال سالمين قبيل شروق الشمس.

عرف الزناتى بمقتل جايل فى أرض عفيف وأدرك أن طبول الحرب ستقرع قريباً . وأن بنى هلال قد وصلوا إلى بلاده خارج سور المدينة فأرسل إلى منصور حارس الباب الرئيسى للمدينة ألا يفتح هذا الباب إطلاقاً وقال له : لو فتحت هذا الباب لأى غريب سوف أشنقك على هذا الباب .

فقد كان الزناتى يعلم أن أرزاق عرب الهلالية وجيوشهم فى أيدى غيرهم بمعنى أن يمنع الزناتى عنهم أى شئ داخل تونس وجلس يدبر نفسه لإعداد الجيش والحرب والملاقاة .

وطلب الوهيدى معبد فأتى إليه ليشد من أزره ويرفع روحه .

واجتمع معهم قادة الجيش وجلسوا جميعا يتدبرون ويتدارسون ويتشاورون قبل أن يدق بنو هلال عليهم أبواب تونس .

الوهيدى :

أَتَتْنَا هَلَالٌ بَرَكْبَانَهَا .: جِيوشًا جِيوشًا فَمَا شَأْنُهَا ؟

الزناتى :

أَتَاهَا الْقَرِيشِيُّ جَبْرٌ مَلِيكٌ .: لَيْثَارٌ مِنَّا بِحَيْثَانَهَا

صوت بعيد له صدى :

أَلَا تَذْكُرُونَ ؟ جِيوشًا ظَلَمْتُمْ .: وَلَلثَّارِ جَاعُوا لِسُلْطَانِهَا
أَشَوْكَأَ زَرَعْتُمْ ؟ وَمُرًّا أَنْقَتُمْ ؟ .: فَهَيَّا إِلَى حَصْدِ أَضْغَانِهَا

الوهيدى :

أَلَا يَا زَنَاتَى .. أَلَا اغْلُقْ عَلَيْنَا .: بِأَسْوَارِهَا مَعَ خُلْجَانِهَا
أَعِدُّوا سِلَاحًا..لِخَوْضِ حُرُوبٍ .: لِنَحْمَى نِسَاءً . وَوَلَدَانِهَا

الزناتى :

وَجِيئُوا إِلَى كُلِّ قَوًى .: وَكُلِّ جَسُورٍ وَفِرْسَانِهَا

الوهيدى :

وَأَمْوَالُنَا مِثْلَ رَمْلِ الصَّحَارَى .: لِإِعْدَادِ جَيْشٍ بِأَرْكَانِهَا

الزناتى :

وَلَنْ اسْتَكِينَ لَهُمْ يَا وَهَيْدَى .: سَأُوقِدُ حَرْبًا - بَنِيرَانِهَا
إِذَا مَا ادْلَهَمَّتْ أَعَاصِيرُهَا .: زَنَاتَى شَبِيهٌ بِغَلْيُونِهَا

المشهد الثانى

فى مجلس السلطان حسن فى معسكر بنى هلال خارج مدينة تونس يجلس السلطان مع
أبى زيد أمير الجيوش والقاضى بدير بن فايد . وبعض الأمراء والمشايخ والفرسان . وذوى
الرأى والمشورة .

يفكرون فى ماذا هم مقدمون عليه . وكيف يفتحون باب تونس والخطوات الناجزة والمساعدة
لذلك .

أبو زيد :

إنى بها لعليم :: عظيمها والكريم
أبوابها ودروبها :: خلانها والخصوم
ودسنت فيها شعابا :: طريفها والقديم
منذ الريادة قومي :: فهمى لها مستقيم

حسن :

يا قائدًا ملك القلو :: بَ ويا أمير العقل
الليل طال على السجى :: ن متى ظلامه ينجلي
أبواب تونس أغلقو :: ها بالحديد المقفل

بدير بن فايد :

ليل السجين نهارة :: مرارة كالحنظل

حسن لأبى زيد :

خذ من هلال جندهم :: مع كل عقل أحيل
أنت الحكيم أريئنا :: منذ صباك الأول

أبو زيد ينظر إلى السلطان حسن نظرة ذات معنى ويقول :

الباب يفتح يا حسن :: بالصبر والعقل الفطن
ما بالجيوش ولا السلا :: ح ولا الحروب ولا المحن

السلطان :

أُفْصِحْ أَبْنُ يَا صَاحِبِي ∴ إِنِّي بِحَيْرَةٍ (ذِي بَزْنٍ)
شَمَاءُ تَبْكِي وَلَدَهَا ∴ فِي سِرِّهَا وَكَذَا الْعَلَنُ

أبو زيد يصيب القوم بالذهول :

بِالْجَازِ يُفْتَحُ بِأَبْهُمْ ∴ بِالْجَازِ أَخْتُكَ يَا حَسَنُ

حسن باستغراب :

الجازية ؟

الجميع : ∴ الجازية

أبو زيد للجميع مؤكِّداً ∴ بالنور والوجه الحسن

منصور حارس تونس ∴ هو بالجمال قد افتتن

حسن وكان قد سمع عنه :

تخطى الثمانين من عُمرِهِ ∴ وبالرغم من ضَعْفِهِ والوهنِ
أما زال يرنو إلى الأغنيات ∴ وبالفتيات الحسانِ يُجَنُّ ؟

أبو زيد :

نساء هلالٍ بهنَّ جمالاً ∴ وصوتٌ شجىَّ وعقلٌ حسن
وجازية القوم عقلٌ رجيحٌ ∴ تُغْنِيْ لَهُ . وبصوتٍ أغنَّ

تُغْنِيْ لَهُ بِالْغَنَاءِ الشَّجِيَّ ∴ كما عندليبٍ بعالِ الغصنِ
تردُّ عليها بناتُ هلالٍ ∴ بصوتٍ يُشَنِّفُ مِنْهُ الْأُذُنْ



تلك كانت خطة أبي زيد وحيلته تعتمد على جمال الجازية وسحرها يؤثر على منصور حيث تتقدم الجازية مع بنات هلال ويختفى أبو زيد قريبا منهن، فإذا فُتح الباب دخل منه أبو زيد ووصل إلى سجن مرعى ويحى ويونس ثم بعد ذلك إلى سجن بنات الأشراف.

وعلم أبو زيد بأن الزناتى أكدّ على منصور بعدم فتح الباب باب تونس - وكان سور المدينة يحميها من دخول أى غريب والبوابة الرئيسية للمدينة عبارة عن باب كبير من الحديد المُصَفَّح يحرسه البواب منصور منذ سنوات إلى أن بلغ من العمر عتيا. وكان أبو زيد يعرفه منذ زمن الريادة - رجل صعب التفاهم معه ولن يفتح الباب. ولكن منصور هذا صاحب قلب عاشق محب ولهان يعشق الجمال، وأمام الحسن والجمال يؤدي ما يطلب منه عن طيب خاطر. والجازية مليكة على الجمال والدلال.

فكر أبو زيد وفكر " إن ما يريده أبو زيد أن يُفتح الباب لبرهة يدخل فيها وهو يعرف دروب المدينة وأسواقها وشوارعها وجميع أماكنها والسجن الذى به بنات الأشراف فى حارة زواوى" يعرف كل هذه الأماكن جيدا منذ زمن الريادة . فأتى بالجازية ومعها كل جميلات بنى هلال ثمانين من الصبايا الجميلات ليكلمن منصور ويغنين له ويحتلن عليه حتى يفتح لهن البوابة.

وقال لهن أبو زيد : قلن له أنكن تردن دخول سوق المدينة للبيع والشراء.



جاءت الجازية ومعها البنات والصبايا ووقف هو متخفيا قريبا منهن ينظر بدهاء .

البواب منصور رآهن من كوة البوابة، فجئن جنونه لهذا الجمال جمال الصبايا الفتان، وبالرغم من كبر سنه وقد تخطى الثمانين فقد لعب الجمال بعقله وسال لعبه وتمنى أن يقتربن منه ليملى ناظريه من جمالهن ويحادثهن.

قالت له الجازية : افتح البوابة لندخل السوق

قال لها : أنتن من بنات نجد ؟ بنات العرب ؟

قالت : لا .. نحن بنات التجار .. نريد أن ندخل السوق للتجارة

قال لها : بشرط !!

قالت : ما شرطك؟

بنات الأشراف

قال : أنتن ثمانين صبيّه .. أتزوج إحداكن . أقضى ما بقى لى من السنوات بعد الثمانين معها . فأنا ما زلت تحت التسعين

ردت عليه بابتسامة : وهذا أعز ما نتمناه .. اختر من تشاء منا

قال الراوى :

فصدقها وابتسم فى فرحه وأخذ يرحب بهن بهذا النظم

وهذا الكلام :

صوت الراوى على هيئة موال :

* خَطَرُ قَمَرٍ . فى حَبَرٍ . يَمْشَى على النِّفَمَاتِ
* لَهُ فَنِّ مَا يَنْفِثُ . إِلَّا على سَوَّالَاتِ
* طَلَبْتُ منه الوصال . لَفْتُ وقال لى : هَاتِ
* عَدَيْتَ له خُمُوسِيَّة . قال كُلُّهُمْ أَمَهَاتِ
* عَدَيْتَ له سُبُعِيَّة . قال ليه أنا شَحَاتِ ؟
* أَلْفَيْنِ دِينَار . وأنا اللى أَعَدَّهُم بِأَيْدِي
* يَكُونُوا عَرَبُونَ نَنْظُرُهُ . أمَّا المَهْرُ بِالْأُفُوفَاتِ



يا مَرْحَبَا .. يا مَرْحَبَا .. يا مَرْحَبَا
يا مَرْحَبَا بِالْأَهْلِ وَالْأَحْبَابِ

منصور

يا مَرْحَبَا .. يا مَرْحَبَا .. يا مَرْحَبَا
مَنْ لَمْ يَرْحَبْ بِالصَّابِيَا .. عَابَ

يا مَرْحَبَا .. بِالْأَسْيَادِ .. عِنْدَ عِيْدِهَا
أَنْتُمْ الْمَلُوكُ .. وَإِخْنَا الْعَبِيدِ جِلَابِ

بقى لى سنين وأيام بـوَابِ الْبَلَدِ
واقف وأنا خادِمُ لِهَذَا الْبَابِ

ما شُفّت مثل الجازية .. وجمالها
قمرٌ تكامل .. زال عنه سحاب

لوشافها عابد يزيد العباده
يوحد الله .. العلى التواب

إن شافها .. عيان .. يُشفى من المرض
يُشفى بإذن الله .. الواحد الوهاب

بك أنت مرحبا .. يا عمريابواب
افتح لنا بابك .. وانظر لجمالى .. نبقى سوا أحياب
ونعيش أنا وأنت .. يا هاجرى قفلك .. علينا أسباب؟

الجازية :

بننت سرحان .. غنى بالألحان
بالفن تانى .. يا بننت الأمارى

منصور :

يا بواب افتح .. بابك المصفح
من دخله يسرح .. ويبيع العطاره

الجازية :

افتح يا حبيبى .. يا مسكى وطيبى
إنت من نصيبى .. من دون الأمارى

افتح يا منصور .. افتح باب السور
ندخل ونزور .. نبيع العطاره

افتحْ لا تبالي .. وانظر لجمال
نبيع المخالي .. وأحزمة المهارة

افتحْ ما تخافش .. انظر لنقش
والحنه البرقش .. فى أيدى العذارى

افتحْ مالك خايف .. إنت عاقل عارف
انظر للوصايف .. لرياسا وساره

انظر كل أليفه .. حلوه وخفيفه
بنييه لطيفه .. حين ترخى الخمارة

روحوا يا بناتى .. خايف من زناتى
من ضربته مات .. ويوزور القبورا

منصور :

روحى يا ظريفه .. خايف من خليفه
له حربيه رهيفه .. تنفذ فى الحجاره

روحى يا صبيه .. ما إلا بلييه
خايف المنيه .. تعم الديارا

قال الراوى : وهنا يغلب الحب على صاحبنا العجوز المتصابى، ويفيض به الحب والهيام ..
فأنساه واجبه وما عليه من القيام ففتح الباب على مصراعيه .. عن طواعيه .. وقد قهره حب
الجازية وحسن صوتها .. والبنات يرددن عليها .. بإيقاع رتيب وصوت رخيم .. كأنهن
حوريات .. هبطت عليه من السماوات .. من فراديس الجنات .

وهنا تشير الجازية خلصة لأبى زيد وتهمس لنفسها وكأنها تسمع أبا زيد:



يا أبا رِيًّا تقدِّمَ :: فتح الباب بكِبْوَةٍ
فُتِحَ الباب بحبِّ :: فتح الباب بغنْوَةٍ

أبو زيد بوثبة واحدة كان في الداخل وبيده السيف والرُمح :

الأغواني والتهاني :: قُوَّةُ أَيْتَةٍ قُوَّةُ

منصور وقد بُهِتَ من المفاجأة :

مالزربون ليأتى :: أيها الأسود زجْرَةٌ

وبسرعة البرق كان أبو زيد قد أطاح رأسه عن جسده بالسيف ودفنه خارج السور بعد أن
دخلت بنات هلال وأغلق أبو زيد الباب .

أبو زيد : يستحق القتل

الجازية: :: نِيَّةُ تَكْشِيفِ فُجْرَةٍ

أبو زيد : هل قتلناه لِرُؤْده؟ ::

الجازية فُجْرَةٌ وَلَى وَطْهْرَةٌ

إن للباغي نهارًا :: أسودًا يقصف عمره
عُمُرُهُ تسعون عامًا :: ثم لا يعرف قدره

أبو زيد :

تصلحين .. تخدمينه ::

الجازية :

شوكة تنمو بفقْرَةٍ

إن زوجي خيرَ زوج :: ارفع اللهم قدره
وأدِّمْ يا ربُّ حُبِّي :: خيرَ زوجٍ . خيرَ أسرِهِ

يطلب أبو زيد من كل صبايا بني هلال النزول إلى سوق تونس كأنهن تاجرات يبعن
ويشتريين وأخذ معه الجازية لكي ترى مرعى ويحي ويونس في سجن تونس
عندما وصل إلى السجن وقف تحت النافذة الحديدية العالية لهذا السجن وأسند رمحہ فاحتك
سنان رمحہ بحديد النافذة فصنع شرارًا كالبرق الخاطف .

قال الراوى :

كان مرعى يجلس فى تلك الحجرة فتعجب من شرارة البرق وتذكر أرض نجد حيث كان
البرق يتبعه رعد ثم مطر فتكثر الخيرات وتنمو نباتات - وتذكر سبعا من السنوات العجاف التى
مرت على نجد لم يروا فيها برقًا ولا مطرًا
قال يحي وهو يبكى حزنا :

آه .. واحر كبداه يا للقهروالكمد
يا لقيس .. يا لعامر .. يا لهلال .. يا لنجد

البرق هيّجنى من الشّـبـاك
هيّجتنا يا بـرق فى سـجوننا
سبع سنين يا بـرق ما شـفـفناك

سبع سنين يا بـرق ما جيت عندنا
والله زمان .. يا بـرق ما شـفـفناك

أوصيك يا بـرق النور لوجيت عندنا
سلم على الأمراء إللى هناك

سلم على حسن الهلالى أبـو على
قل له أخوك مرعى يبوس يداك

سَلَّمَ عَلَى قَاضِي الْعَرَبِ مَعْدَنَ النَّسَبِ
قُلْ لَهُ زَمَانٌ مَرَعَى مَا صُلِيَ وَرَأَى

سَلَّمَ عَلَى مُطَّلَى الرِّكَابِ دِيَابِ بْنِ غَانِمٍ
قُلْ لَهُ زَمَانٌ مَرَعَى مَا شَافَ شَهَابُ

سَلَّمَ عَلَى زِيَادَانَ مُنْجِدِ خِيَانَا
يَوْمَ الْحَرَابِ يَضْرِبُ بِحَدِّ سِنَاكَ

يَا هَلْ تَرَى .. يَا بَرْقَ النُّورِ خَالِي سَلَامِهِ
مَمَاتٍ وَأَنْقَضَ عَلَى أَمْرٍ وَصَلْ لِهِنَاكَ

يَا خَالَ نَسِيْتَنَا لِيهِ وَاحْنَا غَرَايِبُ
بِاللَّهِ يَا خَالَ .. مَا بِنُنْسَاكَ

إِنْ كُنْتَ خَايِفَ الزَّنَاتِ خَلِيفُهُ
خَيْلَ الزَّنَاتِ يَا خَالَ .. تَهَابَ تَلْقَاكَ

إِنْ كُنْتَ خَايِفَ مَنْ سَبَقَ بِنَ حَالِقِ
سَنَةِ الرِّيَادَةِ فِي الْمِيدَانِ خَافَ يَلْقَاكَ

إِنْ كَانَ غَرَامَ عَالِيهِ أَنْسَاكَ ذَكْرُنَا
مَعْدُورِيَا خَالَ .. وَاللَّهِ الْغَرَامُ لَهَاكَ

لَوْ كُنْتَ جَنَّهُ يَا خَالَ وَالنَّاسَ تَرْوَحَاكَ
لَأَرْوَحَ جَهَنَّمَ كَرَامَةً لِأَسَاكَ

إذا كنت شجرة تجمع الريح والهوا
وأنا حرّان .. يا خالي لم أظل حداك

لو كنت بحر النيل .. وبتروى الفضاء
وزرعى شراقي .. ما يشرب يا خال من ماء

لو كنت مكحله وفيك كحل الجلال
وأنا عيني رameda - لم تحط دواك

نادى سلامه .. خارج السجن ما مهل
غنّي أيا مرعى .. عجبني غناك

أخذ أبو زيد يتحدث مع الإخوة الثلاث ليعرفهم بمجئ جيوش بني هلال والجازية تستمع :

أبو زيد : ذرف الدمع بعيني وبكى
إنّ فى بُعد الحبّة مهلكاً

آه يا مرعى ويا يحيى .. ويا
يونس إنّ لربى المشى تكي

عزّ عندي فعل دهر جائر
قد قضى بالبين حتى أهلكا

مرعى : صوت خالي جاعنى لوعنى
ولقأبى شقه فانتها

أبو زيد : وغناء منك يا مرعى بدا
عن دليلاً أوقعوه الشركا



كُلُّ حَرْفٍ قَاتَهُ مِنْ لَاعِجِ
حَرِّكَ النَّارِ بِقَلْبِي وَذَكَرَا

مرعى :
لَوْعَةُ السَّجْنِ وَأَسْرَى شَجْنِي
إِنْنِي ابْنُ مَلِيكَ مَلَكَا

يونس وهو لا يصدق ما يسمع:

أَخَالِي سَمِعْتُ؟ بِحَقِّ لِيلِهِ .. وَحَقًّا أَتَى
وَلِلَّسَّجْنِ جَاءَ .. لِيَنْقُذَنَا .. بَعْدَ مَا شَتَّتَا؟

يحي :
نَعَمْ يَا أَخِيَّ !! سَيُضْحِكُ دَهْرٌ
وَيَجْمَعُ قَوْمًا .. لَهُمْ شَتَّتَا

يونس باكياً :
قَدْ جِئْتَنَا .. يَا خَالَنا
مَنْ بَعْدَ طَوْلٍ لِلْغِيَابِ

لَيْلُ السَّجْنِ كَمَا النُّهَارُ
... وَمَاؤُهُ غُصُّ الشَّرَابِ

مرعى :
وَطَعَامُهُ مُرٌّ وَنَو ... مَّ وَاضْطَرَابٌ فِي اضْطَرَابِ

أبو زيد :
مَرَعَى وَيَحَى .. ثُمَّ يُونُسُ
... إِخْوَةٌ نَعَمُ الشَّابَابِ

يحي :
وَاللَّهِ كَمَا نَصْرُنَا
وَحَنَانُهُ عَجَبٌ عَجَابِ



يونس :

إِنَّا قَضَيْنَا سَبْعَ سِنِينَ
أَيَّامُهُ كَانَ تَعْرِيبُ

اللَّهُ كَانَ نَصِيرُنَا
وَحَنَانُهُ عَجَبٌ عَجَبٌ

كَانَتْ عَزِيزَةً كَالْمَلَائِكَةِ
... ونورها شفق السحاب

حُورٍ تَأْتِي إِلَيْنَا
.. فَيَسْجُونَ لَهَا ثَوَابٌ

وَدَعَا رَبِّيَ قَانَتْ
مُتَّبِعَةً .. رَبِّي اسْتَجَابَ

مرعى :

تَأْتِي سُعَيْدِي بِالطَّعَامِ
... بكُلِّ وَقْتُ وَالشَّرَابِ

وَكَحُورٍ عَيْنَيْنِ تَأْتِيَانِ
... لَنَا بِمَالِ ذَوِّ طَابِ

وَالسَّيِّدِي نَقْلَانِ
مَا كَانَ سَجْنًا أَوْ تُرَابِ

بَلِّ لِلزُّرَى . أَوْ لِلنَّعِيمِ
... وَأَنْهَرِ الْمَاءِ الْعَذَابِ

وَحَدَّثَنَّهُنَّ عَنْ أَدَلِّ
وَقَدَّحَنَّهُنَّ لِمَسْـَٔدٍ تَطَابُ

يونس :

قَدْ كَانَ سَجْنًا مُظْلَمًا .: يُنْبِئُ عَنِ الْبُؤْسِ الْخَرَابُ
فَأَحْزَنَهُ فِرْدَوْسَ جَنَّاتٍ وَأُنْسًا لَا اغْتَرَابُ
حُبِّي عَزِيزَةٌ خَالِدٌ .: حُبُّ الْأَمَانِ . لَا ارْتِيَابُ
نَادَى عَلَى قَلْبِي الْوَحِيدِ .: دِمْيَا قَلْبِي اسْتَجَابُ

مرعى :

سُعْدَى فَتَاتِي إِنْ تَصِفْ .: فَإِلَى الْمَعَالِي لَهَا انْتِسَابُ

يونس :

وعزیزة بنت الوهيد .: دى للجمال لها انتساب
وعزیزة بنت الوهيد .: دى للفخار لها انتساب

الثلاثة معا :

ووقيت سعدى كل مك .: روه ويا حسن المآب
وعزیزة ربى هدا .: ها سؤددا حسن الصواب

أبو زيد :

والهنا الرحمن ين .: صر كل من نادى أجاب
والهنا قيو مننا .: ناديه .. لبى استجاب

قال أبو زيد للجازية : هل سمعت ؟ ..

هل سمعت أصوات إخوتك

قالت : نعم

بنات الأشراف



قال لها : هيا بنا .. وأوصلها إلى بنات بنى هلال .

وقال لها : هذا يكفى فى الوقت الحالى . إذهبى مع البنات إلى السلطان وطمئنيه عليهم . أما

أنا فسأتحرك نحو حارة زواوى حيث بنات الأشراف والله معى .



المشهد الثالث " مرعى وسعدى "

كانت سعدى ابنة الزناتى خليفة كما ذكرنا تتردد على السجن هى وعزيرة ابنة الوهيدى معبد. سعدى لكى ترى مرعى وقد شغفت به حباً . بريئاً . عذرياً . وعزيرة لكى ترى يونس وذلك من خلال سرداب سرى من القصر يودى إلى السجن وصار بين مرعى وسعدى هذا الحب العذرى العفيف بالرغم من أن مرعى كان مكباً على قراءة القرآن والتزود بالعلوم والقراءة داخل السجن . وكان هانئاً سعيداً بهذا الحب العفيف الشريف . فهو يراها فى نهاره . ويرaha ليلا فى أحلامه .

صوت الراوى :

سَجَنُوا حَبِيبِي وَعَمَلُونِي عَلَيْهِ سَجَانُ
فِي شَرْعِ مَيْنِ حَبِيبِي أَبْقَى عَلَيْهِ سَجَانُ
شَيَّعَتْ لَهُ السَّمَنُ بِلَدِي مَعَ بَاشِ سَجَانُ
شَيَّعَ وَقَالَ يَا جَدَعَ أَنَا بَقِيتَ مَحْكُومُ
اللَّهُ يَتَمَمَّ عَلَيْكَ الصَّبْرُ .. يَا غُلْبَانُ



مرعى وسعدى يتناجيان بكلام هو الشَّهْدُ الْمُصَفَّى بين نظرات الحب والتَّهْدُات :

مرعى :

نحن فى الشَّرْقِ نَحِبُّ .. حُبُّنَا حُبٌّ عَفِيفُ
وعَقْدِيْلَاتُ أَحَبَّاتٍ .. بَيْتُهُنَّ أَصْلُ شَرِيفُ
وَصَنَلْنَا عَيْنِ تَوَارَتْ .. عَشُّقُنَا رُوحٌ وَهَامَتْ
أَلْسُنٌ بِالشَّعْرِ فَاضَتْ .. أَعْيُنٌ قَرَّتْ وَطَابَتْ

سعدى :

بَلْ أَعْدُ شِعْرًا لِعَبْلَةٍ .. قُلَّتْهُ لِي حِينَ نَسْهَرُ
وَأَعْدُ ذِكْرَ الْقَوَافِي .. قَالَهَا الْمَقْدَامُ عَنَّتَرُ
أَسْمَعْنِي يَا حَبِيبِي .. قَوْلَهُ شِعْرًا مُطَهَّرُ

مرعى :

فارسٌ قال القوافى :: جنّة . عذب . وكوثر
حبّله عبلةً باقٍ :: هو ذرّ . هو جواهر

سعدى :

حبّنا العذرى شهّد :: شهّد حلوّ مكرّر
إننى عبلة مرعى :: أنت لى الفارس عنتر
أسمعنى يا حبيبى :: أسمعنى شاعر عنتر

يلقى مرعى أبياتا من الشعر يحفظها لعنترة العبسى ، بينما سعدى مغمضة العينين تتمايل
يمينا ويساراً مع إيقاع القوافى والكلمات ، وتهمسُ مع إيقاع الترنيمات فقد حفظتها من مرعى
فبادلته شعر عنتره وأبياته :

مرعى يترنم بأبيات عنتره وسعدى فى قمة الاستمتاع :

أتانى طيفُ عبلة فى المنام
فقبّلتنى ثلاثاً فى اللّثام

وودّ عنى فـأودعنى لهيباً
أسـتره ويـشعل فى عظامى

ولولا أننى أخلو بنفسى
وأطفئ بالثُموع جوى غرامى

لمت أسّى وكم أشكو لأننى
أغار عليك يا بدر التمام

سعدى تكمل أبيات عنتره لأنها تحفظها :

أيا ابنّة مالك كيف التّسلى
وعهد هواك من عهد الفطام

وكيف أروم منك القرب يومًا
وحول خيالك آساد الأجام

مرعى يكمل أبيات عنتره :

وَحَقَّ هَوَاكَ لَدَاوَيْتِ قَلْبِي
بَغْيَرِ الصَّبْرِ يَا بِنْتَ الْكِرَامِ

إِلَى أَنْ أَرْتَفِيَ دَرَجَ الْمَعَالِي
بِطَعْنِ الرُّمَحِ أَوْ ضَرْبِ الْحُسَامِ

أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي خُبِّرْتَ عَنْهُ
رَعِيَتْ جِمَالَ قَوْمِي مُذْ فِطَامِي

أَرْوَحُ مِنَ الصَّبَّاحِ إِلَى مَغِيبِ
وَأَرْقُدُ بَيْنَ أَطْنَابِ الْخِيَامِ

أَذِلُّ لِعَبْلَةٍ مِنْ فَرْطِ وَجْدِي
وَأَجْعَلُهَا مِنَ الدُّنْيَا اهْتِمَامِي

وَأَمْتَنُّ لِلْأَوَامِرِ مِنْ أَبِيهَا
وَقَدْ مَلَكَ الْهَوَى مِنْ زِمَامِي

رَضِيَتْ بِحُبِّهَا طَوْعًا وَكُرْهًا
فَهَلْ أَحْظَى بِهَا بَعْدَ الْحِمَامِ ؟

سُعدى :

وَمِنْ عَجَبِ أَصِيدِ الْأُسْدِ قَهْرًا
وَأَفْتَرِسُ الضَّوَارِي كَالْهُوَامِ

مرعى :

وَتَقْنِصُنِي ظِيْبَا السُّعْدَى وَتَسْطُو(*)
عَلَيَّ مَهَا الشَّرْبَةِ وَالْخُزَامِ

لَعَمْرُو أَبِيكَ لَا أَسْلُو هَوَاهَا
وَلَوْ طَحَنَتَ مَحَبَّتُهَا عِظَامِي

عَلَيْكَ أَيَا عُبَيْلَةَ كُلِّ يَوْمٍ
سَلَامٌ فِي سَلَامٍ فِي سَلَامٍ

يضحك مرعى وهو يكرر البيت الأخير كالاتى :

عَلَيْكَ أَيَا سُعَيْدَى كُلِّ يَوْمٍ
سَلَامٌ فِي سَلَامٍ فِي سَلَامٍ

سعدى وقد أشرقت عيناها بالدموع فأخذت تردّد وهى تذرف الدمع من شدة التأثر :

إِلَيْكَ أَيَا حَبِيبِي كُلِّ حِينٍ
غَرَامِي وَامْتِنَالِي وَاحْتِرَامِي

إِلَيْكَ أَيَا طَبِيبِ الْقَلْبِ أَهْدِي
إِلَيْكَ الْحَبَّ مِنْ دُونِ الْأَنْهَامِ

* ظبا : ظباء وهو جمع ظبي وظبيه - نوع من الغزلان يقال له الغزال الأعفر .

إِلَيْكَ أَيَا مُنَى رُوحِي وَقَلْبِي
أَيَا مَرَعِي أَيَا أَحْلَى الْأَسَامِ

مرعى :

إِلَيْكَ يَا سُعْدَى الطُّهْرِ أَهْدِي
بِحُبِّي فِي وَقَارٍ .. وَاحْتِشَامِ

سُعدى :

وَأَنْنَى لَا أَرَى إِلَّاكَ حِلاَّ
وَزَوْجًا لِي .. أَيَا عَالِ الْمَقَامِ

لِنُبْعِدَ عَنْ هَوَانَا كُلَّ سُوءٍ
وَيَمْتَازُ الْحَالُ عَنْ الْحَرَامِ

رَبِيبَ الْمُلْكِ يَا مَرَعِي حَبِيبِي
حَبِيبٌ أَوَّلٌ . مِسْكُ الْخَتَامِ

مرعى :

وَيَا سُعْدَى أَيَا رُوحِي وَعَقْلِي
وَيَا مَحَبُوبَتِي .. مِسْكُ الْخَتَامِ

ذات يوم رأى مرعى وهو فى سجنه طائرًا يقف على النافذة يغرد تغريدًا جميلًا عذبًا ..
وتمنى من الله أن يبعث له هذا الطائر كل يوم لعدة دقائق فما أجمل صوته .

مرعى :

يَا طَائِرًا مُغْرَدًا .: مُشَقِّقًا مُوَحِّدًا
إِبْعَثْ غِنَاءَكَ لِلسَّجِيـ .: نِ فِي ظِلَامٍ مُقْرَدًا
أَبْهَجْ فَوَادِي يَا رَفِيقِي كُنْ لِقَلْبِي مُنْجِدًا



سُعْدَى مُنَايَ أَبْهَجْتُ ∴ قَلْبِي بِحَبِّ أُمْرَدَا

مَنْ لِي بُنْزَهَاتٍ أَرَى ∴ مِنَ الْمِيَاهِ عَسْجَدًا (*)

مَنْ لِي بَجَلَسَاتِ الرَّبِّي ∴ مَعَ الرَّبِيعِ إِذْ بَدَا

وَالطَّيْرُ غَنَّى هَائِمًا ∴ مُجَابِبَا حَيْثُ غَدَا

شُكْرًا صَدِيقِي عَازِفًا ∴ قَلْبِي بِخَفِّ رَدْدَا

إِنْ طَرْتُ هَيَّا لِسُعْدَى ∴ دَى أَكْـدَنَ الْمَوْعِدَا

وَقُلْ لَهَا مَرْعَى حَزِيًا ∴ نَّ قُلْ لَهَا تَأْتَى غَدَا

وكان هذا البلبل رسول الحب والشوق فقد جاءته في اليوم التالي تطير اشتياقاً إلى مشتاق يحلم برؤيتها فازداد فرحه برؤيتها فنطقت سعدى شعراً ينم عما يعتمل في داخلها .. كل ذلك بقرب من أخويه في السجن معه .

سعدى : تَـأَاهَ وَأَنْشَرَخَ ∴ عَمَّاهُ الْفَرَحُ

مرعى : أَنْتِ جَنَّتِي

سعدى : صِرَّةٌ . وَلَا تَبُحْ

مرعى : وَجْهُكَ الْوَذَى ∴ شَابَهُ الصَّبْحُ

شَمْسُنَا بَدَتْ ∴ ضَوْوُهَا وَضُحْ

سعدى : مَرْعَى حُبُّنَا ∴ غَابَ أَوْ سَمَحَ

عَقْلُنَا سَبَا ∴ عِنْدَمَا شَرَحَ

لَوْ هَجَرْتَنَا ∴ دَمْعُنَا سُفْحَ

مرعى : سُـعْدَى دُرَّةٌ ∴ عَقْلُهَا رَجَحَ

* عسجدا : فضة .

بنات الأشراف

ذا شذا الزَّهَرُ :: عندما تُلْحَحُ
أنتِ سوسنٌ :: عطره نَضَحَ

سعدى: أنتِ بلسَمي :: طِبُّ مَنْ جُرِحَ

مرعى : نورٌ سُعدَتِي :: ها هنا وَضَحُ
أنتِ كوكبٌ :: فى السَّما سَبَحُ
يا لحاظها :: سَهْمُها جَرَحُ
لو تَبَسَّمتْ :: بَارِقَ لَمَحُ
أو تكلَّمْتِ :: بلْبُلُ صَدَحُ
مَنْ يَفُزْ بِها :: كان قَدْ رِبَحُ
صار حَلَّها :: دونمَّا كَدَحُ
بات مُسْعَدًا :: قَلْبُهُ انْشَرَحُ

أضحت لغة الحب العذرى هو الحوار الذى يجمع بينهما والأخوان حارسان لهما ولهذا الحب العفيف .. صار يطارحها الغرام شعراً فبادلته الشعر لما يعتمل بقلبها من دفء الحب : العاشقان يتناحيان .

سعدى :

حبيبي شِعْرُهُ سُكَّرُ ::

مرعى :

وحبِّي صادقٌ أَطْهَرُ

سعدى :

حديثك مُنِيَّتِي طَرَبُ :: أنا مِنْ شَجْوِهِ أَسْكُرُ

مرعى :

وتعجبني سَجَاياك :: وقَلْبُكْ دائِماً جَوْهَرُ

سعدى :

سُوِّعَاتٌ قُضِيَ بِهَا .

مرعى :

لَهَا أَحْتَوِلَهَا أَذْكَرُ

سعدى :

مَلَائِكَةُ تَبَارَكُنَا .

مرعى :

لِرَاحَتِنَا أَتَتْ تَسْهَرُ

وإنْ وَقَّتْ لَنَا أَزَقَا . :
وَحَان رَحِيَانَا . أَنْذَرُ
أَعُدُّ الْيَوْمَ تَلَوَ الْيَوْمُ . :
مِ عَلَى بِاللَّقَا أَظْفَرُ
لَأَنْظُرَ وَجْهَ مَحْبُوبِي . :
بَلَيْلٍ سَاحِرٍ أَقْمَرُ

سعدى :

لِقُرْبٍ دَائِمًا أَصْبُو . :
وَبُعْدٍ عَنْكَ لَا أَقْدِرُ

مرعى :

زَرَعْتُ الْحَبَّ عُذْرِيًّا . :
وَأَسْمِعُهَا أَنَا شَيْدِي
لِأَقْطِفُهُ إِذَا أَثْمَرَ . :
لِحُبِّ يَانِعٍ أَخْضَرَ
وَغَنَّتْ لِي أَغَانِيهَا . :
وَخَفَّقَ الْقَلْبُ كَالْمِزْهَرِ
شَجِيٌّ رَاقِصٌ هَزِجٌ . :
طَرُوبٌ عَاشِقٌ يَسْمُرُ

سعدى :

وَمِيعَادُ أَهْبُ لَهْ . :
بَلَا نَوْمٍ لَهُ أَسْهَرُ
نَعِيدُ لِقَاءَنَا بَغْدٍ . :
وَأَفْدَى صُبْحُهُ الْأَنْوَرُ



مرعى :

وإن تَأْتِي بِمِيعَادٍ ∴ وَعَنْ بُعْدٍ لَهَا أَبْصِرُ
يُزْغِرُ قَلْبِي الْمُسْتَا ∴ قُ لِلْمَحْبُوبِ إِنْ يَخْطُرُ

سعدى :

نَطِيرُ إِلَى أَمَانِينَا ∴ نَحْقُقُ حُلْمَهَا الْأَكْبَرُ

مرعى :

كَذَا فَلْنَحْيَ يَا أُمْلَى ∴ وَحُبُّكَ قَائِدٌ يَأْمُرُ
فَسُعْدَى . أَنْتِ أَمْرَتِي ∴ وَحُبُّكَ حُبِّي الْأَطْهَرُ

الفصل الثالث

المشهد الأول

طلب أبو زيد من الزناتى الإفراج عن بنات الأشراف وكذلك مرعى ويحى ويونس فأصدر الزناتى فرمانا بذلك وأعطاه لأبى زيد بعد أن ختمه وأمهره بخاتم السلطنة لكى ينهى قتالاً قد ينشب بين بنى حمير وعرب بنى هلال وقال الزناتى: يخرجون من سجنهم بإذن الله .

بينما ذهبت الجازية مع بنات هلال إلى خارج المدينة حيث معسكر وجيوش بنى هلال وطمأنت الجميع على أخواتها وأخبرتهم بأن أبو زيد أخذ فرمانا مختوماً بخروجهم وبنات الأشراف وبأن أبو زيد ذهب إلى سجن بنات الأشراف فى حارة زواوى لإخراجهن ففرح الشيخ جبر القریشى بذلك واستبشر بقرب لقاء زوجته ورد إليها ومن معها من عقيلات وشريفات ومكث الجميع فى انتظار هذه الأخبار السارة .

وأما الزناتى فقد توجه إلى قصره وأعلم الجميع بقرب خروج الإخوة المساجين فعلمت سعدى بذلك فانتابتها مشاعر متباينة فقد فرحت لأن حبيبها سيخرج إلى النور وينسم نسيم الحرية.

وحزنت لأنها لن تراه . حيث أن خروجه معناه ذهابه إلى أهله خارج سور تونس وفى ذلك استحالة رؤيته لما بين بنى هلال وبين أبيها من حروب وخصومة . أجهشت بالبكاء وارتدت ملابسها وأسرعت باكية للحبيب . وجلست أمامه تبكى وأخذا يتطارحان الغرام .

سعدى :

أنت يا مرعى دوائى وحياتى وشـفائى
إن بعدت اليوم عنى يا لبؤسى وشـقائى

مرعى :

يا سـعيدى يا ضيائى يا مثلاً للوفاء
إن بـعدت اليوم أغـدو فى عداد الشـهداء

سعدى :

كم جلسنا وارتوينا بين فرح وبكاء
نظراتى لك كانت لى كقطرات ارتواء

وسماعي لك شعراً .: يا لبيب الشُّعراء
وجلوسى لك أرْنو .: لك يا رُمز النِّقاء
دِفءُ حُبِّي . شمسُ دُنْيا .: يَ أنارتُ لى سمائى

مرعى :

لا أريد اليوم إطلا .: ق سراحى فى الفضاء
لسنتُ أحيًا كسجين .: فهنا أنس الهناء
فى جنانٍ كالفرادي .: س سِواءٍ بسِواءِ

سعدى :

فى حياتى ومماتى .: لك يا مرعى ولائى
ربَّ لا تكتبُ عليَّنا .: بـافتراقٍ أو تتـائى

مرعى :

أدخلونى السَّجنَ قَهْرًا .: قُلْتُ قَدْ حُمَّ قَضائى
فاسْتَحَالَ السَّجْنَ نَورًا .: بك يا سَعْدَى الضَّيَّاء
قَدْ أَحَلَّتِ العَمرَ سَعْدًا .: بسُـويعاتِ النِّقائى
أَبْقِيَانى مَعَ سَعْدَى .: إنَّ فيها لَشِـفائى
ما سَجِينٌ أَنْتَ يا مَرَّ .: عى جَـريحَ الكَبِرياءِ

سعدى :

بل حبيبٌ لسُـعْدَى .: عـنـدِـلِـب الشُّـعـراءِ

مرعى :

كلَّ يوم طالعَتْنى .: لَبَسَتْ أَحلى الرِّداءِ
فبَدَتْ نورا بهيـا .: ونقـاءً فى نقـاءِ
إنَّها العَذْبُ الطَّهـورُ .: ووفـاءُ الأوفـياءِ
صاغها الله كنـور .: شَفَّ طُهرًا فى سمائى

بنات الأشراف

بَهَجَةَ الأرواحِ سَعْدَى إنها خَيْرُ النساءِ
إنَّها الشَّهْدُ المَحَلَّى شَفَّ نورًا بضياءِ

سعدى :

إِنَّنِّى بِخَيْرٍ بَتُولُ :. أنتَ رمزٌ للنَّقاءِ
كَيْفَ أَغْدُو لِحايِلٍ :. غيرَ مرعى . يا شقائى
مَلَكٌ طاف بروحى :. بصفاءٍ وارْتواءِ

مَسَّ مِنْ قَلْبى شَغافًا :. بهـدوءٍ وحيـاءِ
فأَحالَ العَمَرَ نورًا :. صارَ بَذْرِى وَذُكائى (*)
وَإِذا لَيْلٌ تَوَلَّى :. صارَ لى إِيْنَ ذُكاءِ
لا تَوَدَّعْنى حَبِيبى :. أَنْتَ أَنْسى وَغِنائى
لا تَوَدَّعْنى فَقُربى :. مِنْكَ تاجى وعلائى



وهنا بلغ التأثير أقصى مداه وأجهشت بالبكاء . وارتمت نحوه تترجاه ألا يتركها ففى ذلك نهايتها وموتها إذ لا حياة لها بدونه بينما أخذ يحى ويونس يضربان كفاً بكف ولا يدريان ماذا يفعلان إذ أن الخوف من ابئها يقف حائلاً بين أى التقاء بين هذين الحبيبين المعذبين .

هذا ما جرى من أمر هذين العاشقين وما لبث عساكر الزناتى أن أتوا إلى السجن وأخرجوا الأمراء الثلاثة من سجنهم، وألبسوهم ملابس الأمراء وساروا معهم إلى إحدى بوابات مدينة تونس فى انتظار بنى هلال فأتى السلطان حسن ومن معه من كبار بنى هلال ومقدمة الجيوش وأخذ إخوته بالأحضان وعاد بهم إلى مضارب بنى هلال خارج سور تونس .

أما أبو زيد فإنه توجه بالفرمان الذى معه إلى حارة زواوى يستكشف الأمر أولاً . إنها حارة ضيقه . على أبوابها العبيد أمرهم الزناتى أن يقتلوا أى شخص يحاول الاقتراب أو دخول هذه الحارة أيًا كان حرصًا على حياتهن وشرفهن فهو يدرى جيداً مَنْ هُنَّ .

* ذُكاء : شمس . وابن ذُكاء الصُّبح .

بنات الأشراف

وجد أبو زيد العبيد على باب الحارة وهم على أهبة الاستعداد لقتل من يجروا على دخولها .
رأى أبو زيد أنه لابد من الحيلة :
أبو زيد :

السَّلامُ .. السَّلامُ .: يا بنى جنسى سلام
أحدهم :

السَّلامُ .. السَّلامُ .: والتَّحايَا .. لِلْكُرامِ
آخر :

السَّلامُ .. قِفْ مَكَانَكَ .: قِفْ مَكَانَكَ . لا كلام
آخر :

لَوْ تَقَدَّمْتَ بَخْطُوكَ .: قل [على دنياك] سلام
لَنْ تَرَى إِلَّا قِتَالاً .: لَنْ تَرَى مِنْنا سَلامَ
الزَّناياتِ الوهيدي .: سوِّفَ تُمَسِّي في الرِّغامِ

أبو زيد يقدم لهم منديلا به بعض الحصى عليه مُخَدَّرٌ قوى :

يا رفاقي .. يا رفاقي .: أَنْتُمْ أَهْلُ الذَّمِّ
تَلَكُمُ أَلْفٌ مَجِيدِي .: فخذوها .. لا مَلامَ (*)
فخذوها قَسَّاموها .: أَنْتُمْ جُنُودُ عِظَامِ
قد حَفَظْتُمْ عَرَضَ قَوْمِي .: مِنْ تَدانيسِ اللَّئامِ

يتجمعون كلهم ويتزاحمون ويفكون المنديل ليروا ما به فيصيبهم المخدر ويتساقطون .
فيتركهم أبو زيد ويدخل الحارة بسرعة البرق ويقف أمام المنزل الذي به البنات . يتكون من
طابقين . وقف تحته ينادى :

* ألف مجيدى : ألف دينار .

بنات الأشراف

صوت موال :

لِيَهْ يَا عِيُونِي أَخْصَامَكَ تَخَالِيهِمْ
قَالَتْ سَلَا حِي انْكَسَرَ . مَا أَقْدَرَشْ أَعَادِيهِمْ
بَعْدَ مَا كُنَّا فِي لَمَّةٍ وَأَنَادِي عَ الْكَبِيرِ فِيهِمْ
زَعَقْ عَلَيْنَا غُرَابِ الْبَيْنِ فَعَكَّشْنَا !!!
وَصَبَحَتْ مِنْ وَحْدَتِي أَبُوسَ أَيَادِيهِمْ



أبو زيد ينادي :

يَا وَرَدَ الْبَهَا . : يَا أُخْتَ الْقَمَرِ
يَا وَرَدَ الْبَهَا . : دُرَّةَ الْقَمَرِ
يَا فَتَاتَ الْبَهَا . : زَيْنَةَ الْقُصُورِ
يَا بَنَاتَ الْبَهَا . : زَيْنَةَ الْقُصُورِ

يَا ابْنَةَ الْكِرَامِ . : يَا أُخْتَ الْقَمَرِ
إِنِّي هُنَا . : إِنِّي أَنْتَظِرُ
رُدِّي يَا فَتَا . : تَيِّمَ مَضَى الْعُمُرِ

تُفَتِّحُ النَوَافِذَ وَتَطْلُ وَرَدَ الْبَهَا مَعَ الْفَتَيَاتِ :

أبو زيد: يَا وَرَدَ الْبَهَا . : يَا أُخْتَ الْقَمَرِ
يَا بَنَاتَ الْبَهَا . : زَيْنَةَ الْقُصُورِ

إحداهن: يَا عِيُونِي دَنَا . : خَيْرَ مَنْ شَعَرَ
جئتُ هَا هُنَا . : مَاذَا تَنْتَظِرُ ؟

أبو زيد: يَا وَرَدَ الْبَهَا . : زَيْنَةَ الْقُصُورِ

ورد البها: صِهْ عِيْدُ لَا .: أَنْتَ فِي خَطَرٍ
 إِنَّ تَتَادِنِي .: مَاذَا؟ مَا الْخَبَرُ
 مَا لِعَبْدِنَا .: خَاطَبَ الزَّهْرُ
 هَلْ مَضَى الزَّيْنَا .: تِي؟ مَا الْخَبَرُ؟

إحدهن: هَلْ أَنْ الْأَوَا .: نْ إِلَى السَّفَرِ

ورد البها: صِهْ . أَيَا عِيْدُ .: كُنْ عَلَى حَذَرٍ
 أَغْلَقُوا الشَّيْبَا .: بِيكَ وَالسُّتْرُ

وتأمرهن ورد البها بإغلاق النوافذ وإرخاء الستائر خوفاً عليهن .

أبو زيد بِنْتُ تَائِبٍ .: زَيْنَةُ الْأَسَرِ (*)
 بصوت عالٍ: جَبْرُ خَالِنَا .: جَبْرُ يَنْتَظِرُ

يَا حَلِيلَةَ .: جَبْرُنَا انْتَصِرْ
 فِي رِحَابِهِ .: كُلُّنَا افْتَخِرْ
 إِنْنِي رَسُولُ .: لُ إِلَى الْقَمَرِ

فتحت النوافذ ثانية وأطل الجميع :

ورد باستغراب :

قَدْ تَتَادَيْتَ بِاسْمِي .: ثُمَّ تَنَيْتَ بِجَبْرِ
 يَا فَتَى أَفْصَحْ وَقُلْ لِي .: كَيْفَ نَادَيْتَ بِجَبْرِ؟

أبو زيد :

أَتَيْتُ إِلَيْكَ فَلَا تَعْجَبِي .: وَمِنْ زَوْجِكَ الْقَرَشَى الْأَبَى

* ورد البها بنت تائب .

سَاخُذُكُنَّ إِلَى أَهْلِكُنَّ
مَنْ السَّجْنِ هَيَّا . فَذَا مَا رَبِّي

ورد باستغراب :

أَزَوْجِي حَيٌّ خَلَالَ السَّنِينَ

أبو زيد :

نعم هو حَيٌّ فلا تعجبي !!

ورد اليها بلهفة :

أَحَقًّا تَقُولُ ؟ أَزَوْجِي حَيٌّ ؟؟
تَكَلَّمْ وَأَفْصِحْ . بِحَقِّ النَّبِيِّ

أبو زيد مؤكداً :

نَعَمْ .. هُوَ حَيٌّ .. حَالِيَةَ جَبْرِ
وَجَاءَ لِذِي الْبَلَدِ الطَّيِّبِ

لَقَدْ جَاءَ يَسْعَى بِشَوْقٍ إِلَيْكَ
سَنَغْدُوا إِلَيْهِ .. وَفِي مَوْكِبِ

ومرت سنون عجاف عليكن
... فِي زَمَنِ مُخْزِنٍ .. مُجْدِبِ

سَيَصْقُو الزَّمَانُ وَيَحْنُو عَلَيْكُنَّ
... فِي زَمَنِ مُسْعِدٍ مُخْصِبِ

أَتَانَا لِنَجْدَتِهِ بِالْجِيوشِ
هَلَالُ الْمَعَالِي .. وَمِنْ تَغْلِبِ

أَتَيْنَا بِجَيْشٍ كَثِيفٍ لَشَارِ
مِنَ الْبَاغِيِ الظَّالِمِ الْمَذْنِبِ

نَرُدُّ الْحَقُّوقَ لِأَصْحَابِهَا
بِجَيْشٍ مِنَ الشَّرْقِ لِلْمَغْرِبِ

ورد البها تسأل عن قاسم أخيها . وكان أميرًا لجيوش تونس :

وَأَيْنَ قَاسِمٌ ؟ أَيْنَ
قَاهِرُ جِيُوشِ الْأَعَادِي ؟

أَصْنَبُو إِلَيْهِ بِشَوْقٍ
فِي صَاحَوَتِي وَسُهَادِي

أَخِي شَقِيقِي وَرُوحِي
حَمَاهُ رَبُّ الْعِبَادِ

أبو زيد يلقي بمفاجأة رهيبة لم تكن تتوقعها :

قَدْ جَنَدَلُوهُ بِقَتْلِ
فَوْقِ الثَّرَى بِالْعِتَادِ

مُدَافِعًا عَنْ ذَوِيهِ
يَسْنُمُو بَدُونِ ارْتِدَادِ

بِالرُّوحِ جَادَ دِفَاعًا
يَحْمِي بِكُلِّ اجْتِهَادِ

الْكُلُّ أَتَنَوَا عَلَيْهِ
كَانُوا مِنَ الْأَشْهَادِ

وَقَالَ أَفْدِي بِرُوحِي
بِالرُّوحِ أَفْدِي بِبِلَادِي



ورد البها وقد علمت لأول مرة بمقتل أخيها واستشهاده في الوغى فلم تتمالك نفسها وشقت ثيابها عند صدرها كمن فقدت عقلها وأبو زيد يأسى لها فقد صدمت بقتل أخيها قائد الجيوش ووقف أبو زيد أسفل المبنى يتطلع إليها وهي تتكلم وتصرخ بينما كان هو مشغولاً بشئ آخر .
لقد رأى حروفا مكتوبة على صدرها بالخضاب الأخضر فتركها تولول حزينة وحاول أن يغمض عينيه حتى لا يرى. ولكنه كلما أغمض عينيه فتحها الشيطان إبليس رغما عن أبي زيد .
لقد نظر أسفل نهديها وتطلع مرة ومرة . وقرأ ما هو مكتوب.

ورد البها :

واقسـمـاءُ حبيبـى .: يا جـيـدَ الأجوـادِ

أبو زيد هامساً في سره :

جـيـمُ أبـا زـيـدَ حـرُفُ .: بـاءٌ وراءُ تُتـادِى

ورد البها :

الحـزـنُ زادَ لهيـيـاً .: فـى صـدْرِى الوَقـادِ

أبو زيد في سره هامساً :

وتحتـها الوـاو ورْدُ .: بدَقَّةٍ واعْتـدادِ

ورد البها تبكى :

أخـى حبيبـى تـولى .: سُحـقاً لـكمْ يا أعـادِى

أبو زيد في سره هامساً :

جـبرٌ بـأولَ سـطـرٍ .: تحتَ النُّهـودِ يـنادِى

أسـفـله ورْدُ البهـاءِ .: كلَ الحـروفِ بوادِى

جـبر

ورد البها

ورد البها :

الصمت يبدو عليك .: والنار تُضني فؤادي

أبو زيد وهو لا يقدر على نظم الكلمات من شدة الارتباك :

ماذا ؟ جبر ؟ حرب !! نصر !! جبر !! فؤادي

ورد البها تصيحُ فيه :

انطقُ أيَا عَبْدُ قُلْ لِي .:

أبو زيد ما زال لا يقدر على نظم كلامه :

لا بأس ! ماذا ؟ الأعادي

ورد البها تستحثه على الإكمال

ماذا دهالك ؟ تكلم .: ولا تدعني أنادي

أبو زيد وقد تدارك نفسه :

هيا انزلي من قصور .: بهمة وسداد

للأهل نغدو سويًا .: عزيزة الميلا

ورد البها تتكلم بحدة وإصرار :

نرفض العودَ بذل .: قد قطعنا - قبل - عهدًا

حميرٌ ذلّوا بلادي .: ورثوا مالا ومجدًا

ظلموا كلَّ شريفٍ .: أورثواهمَا ولخدا

في دِما الأشرافِ داست .: خيلُهم صَدْرًا وزندا

وأطاحوا برقابٍ .: ظلّمهم باغٍ تعدّي

أبو زيد :

تلك أيامٍ خوالٍ .: أرخت للظلم عهدًا

ورد :

أَبْلِغْ جِيوشَكَ قَوْلًا .: أَبْلِغْ سِبَاعًا وَأُسْدًا
فَلَا خُرُوجَ بَصْمَةٍ .: بَلْ جِئْشُنَا وَاسْتَعْدَا

أبو زيد :

إِذِنْ تُرِيدِينَ حَرْبًا .:

ورد :

تَقْدُّ حَمِيرَ قَدَا
مَعَ الْبَنَاتِ خُرُوجِي .: عَلَى الْجَمَالِ عَلْنَدِي
أبو زيد مقتنعًا ومكملًا :

وَفِي الْهُوَاجِ حُورٌ .: بَنُرُ السَّمَاءِ تَبْدِي

ورد البها :

رَايَاتُ نَصْرٍ وَتَعْلُو .: عِزًّا . وَتَاجًّا .. وَمَجْدًا
أَبْطَالُنَا فِي وَثُوبٍ .: لِلْحَرْبِ شَدُّوا شَدًّا
هَذِي شُرُوطِي وَعَهْدِي .: نَصْرًا - وَثَارًا - وَعُودًا
خُرُوجُنَا لِقَبْرِ حُورٍ .: أَوْفِي الْهُوَاجِ سَعْدًا

أبو زيد

إِذِنْ تُرِيدِينَ حَرْبًا .: تَقْدُّ حَمِيرَ قَدَا

ورد البها

نَعَمْ رَسُولَ حَبِيْبِي .: إِلَّا إِذَا كُنْتُ عَبْدًا

بنات الأشراف

أبو زيد

يا وردُ يا بنتَ تائبٍ .: أريدُ أيَّ أماره
تكون رمزا لصِدقي .: عند الكلام إشارة

ورد تقذف له بمسبحه زوجها أماره:

سُبْحَةُ زَوْجِي لآلِي .: خذها فنعم الأماره
وإن رآها سَتُغْنِي .: عن قولتي والعباره
مَسَّتْ أُنَامِلَ زَوْجِي .: ويالها من إشارة
تُضِيُّ مِثْلَ نَجُومٍ .: في ليلنا نوارة
حَفَظَتْهُ بِشِيَابِي .: تراثه .. آثاره



المشهد الثانى

فى معسكر بنى هلال جلس الجميع ينتظرون أبا زيد - بعد أن خرج مرعى ويحى ويونس من السجن وعادوا إلى أهلهم - أما أبو زيد فقد انصرف من عند بنات الأشراف على وعهد بالرجوع إليهن فى الغد ومعه الجمال وعليها الهودج يتقدمها ويحيط بها ويحرسها فرسان بنى هلال .

وصل أبو زيد إلى معسكر بنى هلال فوجدهم ينتظرونه على أحر من الجمر وخاصة جبر القريشى .

أبو زيد

عليكم جميعاً سلاماً سلاماً

الجميع

سلام . سلام . سلام . سلام

جبر

أبا زيد أين نسائى وورڈ ؟

أبو زيد

ذهبتُ إليهنَّ أبغى المرام

فناديتُ يا خال تحت القصور

فتحنَّ النوافذ . ظيأء . آرام

وناديتُ ورڈاً .. وكلمتُها

وردتْ كلامى بكلِّ احترام

وقالت عبيدُ يَهْذى كلاماً

فقلتُ اسمعينى - أبذر التمام

وأخبرتُها أنَّ خالى هنا

أتى للبلاد بقومٍ كرام

هلالُ المعالي بجيشٍ كثيفٍ
لِردِّ حقوقٍ بحدِّ الحسامِ
أبينَ خروجاً ذليلاً مهيناً
عقيلاتُ قومٍ لهُنَّ نِمامِ
يرئِثونَ عوداً بجيشٍ كثيفٍ
يحيطُ بهُنَّ الشُّجاعُ الهُمَامِ
وألقِيتُ إليَّ بِمِسْـبَحةٍ
ذليلاً لصِدْقِي عندَ الكلامِ
وها هي يا خالُ أعطيكها
لصِدْقِ كلامي كبذرِ التَّمَامِ

جبر ينكر كل ما سمع من أبي زيد ولا يصدقه :

أبا زيدُ ما قد رأيت نسائي
وكلُّ كلامك كِذْبٌ . حرامُ
وأخرجتَ مرعى ويحى ويونسُ
فأين النساءُ كثيرَ الكلامِ ؟

أبو زيد منفلاً :

يميناً أيا خالُ أنى صدوقُ
وسَلِّ كُلَّ أهلى ألا يا هُمَامِ

جبر :

كَذِبتُ أيا عبدٍ كيف جرأتَ
(بحارة زواوى) على الاقتحامِ ؟

جبر . وملتفتا إلى القوم مستكراً :

ومِسْـبَحَةً أَتَى لى بها
وآلافها فى يد الأقوام
بلى .. والمئات من المسبحات
تُصَنِّعُ للناس فى كل عام

أبو زيد ثائراً

يميناً أيا خال أنى صدوق
وأقسم برّب لبنت حرام
ولكن هناك أمارات صدقى
إذا قلتها فعلى السلام

السلطان حسن :

تكلم أبا زيد أنت صدوق
فهات الأمارات . لا . لن تضام

جبر

وماذا يقول ؟ كذوب كذوب
كذوب لعمري .. كثير الكلام

أبو زيد يعيد كلامه

أقول هناك أمارات صدقى
وإن أغضبتك فلا . لا ملام
إذا قلتها يا أميرى بوصف
سمعت رثوداً كطعن السهام

وَقُلْتُ عَلَى تَعْدَى أَصُولاً
وَطَالِبِنِي جَبْرُ بِالْأَحْتِشَامِ

جبر ساخرًا منه

تَهَدُّنَا يَا عُبَيْدُ؟ تَكَلِّمْ
أَجِبْ بِالْأَمَارَةِ . لَا لِنَ تَضَامَ

أبو زيد

أَقُولُ أَمَارَاتِ صِدْقِي جَلِيًّا
شُهُودٌ عَلَيْكَ رَجَالُ كِرَامٍ
وَلَا تَصِفَنِّي أَيَا خَالٍ وَصَفًا
بِأَنِّي رَسُولُ أَضَاعِ النِّزَامِ

جبر: تَكَلِّمْ . فَصَبِّرْ عَلَىكَ تَلَاشِي
وَلَا وَقْتُ عِنْدِي . كَثِيرَ الْكَلَامِ

أبو زيد

لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَلَى قَاسِمٍ
أَخُوهُمَا قَوِيًّا كَحَدِّ الْحُسَامِ

فَقُلْتُ لَهَا قَاسِمٌ مَاتَ فِي
دِفَاعٍ عَنِ الْأَرْضِ مُوتًا زَوَامٍ

وَرَا حَ شَهِيدًا لِأَوْطَانِهِ
أُحِيلَ عَلَيْهِ النَّزْرَى وَالرَّغَامُ (*)

* الرغام : التراب .

بنات الأشراف

فَشَقَّتْ ثِيَابًا . وَبَانَتْ نُهُودُ
وَنَقَشَ الْخَضَابِ قَرَأْتُ الْكَلَامَ
وَتَحَتَ النَّهُودِ قَرَأْتُ الْمَعَانِي
بَسْطَرَيْنِ نَقَشَ . أَلَا يَا هُمَامَ
حَبِيبِي جَبْرٌ بِأَوَّلِ سَطْرٍ
وَأَسْفَلِ سَطْرٍ كَمَالِ النَّظَامِ
فَجَبْرٌ حَبِيبٌ لَوْرِدِ الْبَهَاءِ
وَوَرْدُ الْبَهَاءِ خَتَامُ الْكَلَامِ

يثور الأمير جبر ويرفع الحسام على الأمير أبي زيد ويقوم بنو هلال جميعا بمنع جبر من ذلك .

جبر

ذَهَبَتْ لَطَعُنٍ كَغَضُ بَانِيهَا
وَتَلَارَ لِمَقْتَلٍ سُكَّانِيهَا
إِذَا بِكَ تَأْتِي بِقَوْلٍ سَفِيهِ
لَصَادِرِ النَّسَاءِ وَرُمَانِيهَا

أحد رجال بني هلال

حَنَانِيكَ يَا جَبْرُ هَذَا أَبُو زَيْدٍ
... قَادَ السَّافِينَ كَرُبَّانِيهَا
وَفِي الْبَرِّ كَانَ شَبِيهِ الْأَسْوَدِ
وَفِي الْبَحْرِ صَالِ كَحِيتَانِيهَا

جبر يهيم مرة ثانية بضرب ابى زيد فيمنعه الرجال:

بنات الأشراف

دعوني أيا قوم أشفي غليلي
وأطفئ بقتل لنيرانها

فهذا العبيد قضى عمره
بعشق الحسان (ونسوانها)

أحد رجال بني هلال :

لقد كان يغمض عيناً حياءً
فتتقأ عيني لشيطانها

آخر

حنانيك يا جبر هذا أبو زيد
... حامى هلال كقيدومها

آخر

وسكرنا في زمان وريف
ومر الأعداء .. وهجأها

وترتفع أنعامنا في سلام
باسم أبي زيد ضرغامها

وكل هلالى بات يهاهى
ويعلو ويسمو بمقدامها

وما عاب يوماً بأى نساء
وكان الأميين لأرحامها



السلطان حسن يلوم على أبي زيد أنه ذكر تلك الأمارات

قال أبو زيد : لقد كذبتى !! فماذا أفعل ؟



قال حسن : تفعل ما يريده منك . ورضاه أن تأتي له بزوجه ومن معها من البنات .

أبو زيد يعدهم بأنه في الغد سيوفى بوعده . وليساعده الله .

ثم إن الأمير جبر أخذ يخط بخطابٍ ليعث به مع أبي زيد إلى زوجته.

الأمير جبر القرشي :

أَمِنْ ذِكْرٍ ورد البها زوجتي . : وصفو الحياة وتذكراها
سلامٌ إلى وردتي يا نسيمُ . : وطُف بالخزامى وأزهارها
وملٌ للورود تحمّل عطورا . : لتهدى إليها بمختارها
ومن نرجسى الحقائق فاحمل . : نسيمَ شذاها بأذارها
وعرّج على سوسنات الجنان . : لتتشرّ عطرا على دارها
ومن جئنار ندى الشذى . : وبُحْ بالعطور وأسرارها
ومن موج أنهارها فاغتسل . : لتهدى بمعطّار نوارها
ويا ليلُ كن هادئا ساحرا . : ونومًا قريرا لأقمارها



المشهد الثالث والأخير

مقدمة : أبو زيد . يأخذ ثلاثين جمل وثمانين فارس ووضع على كل جمل هودجاً وألبس كل فارس ملابس الحرب وفوقها جلباب العبيد والخدم.

وقال لهم سنسير فى أمان وسلام ما دام هناك سلام ولكن إذا جد الحرب اخلعوا الجلابيب وعليكم بالسيوف والحراب.

وعندما اقترب أبو زيد من مدخل حارة زواوى قابله العلام يعترضه فأراه الفرمان – فأخبره العلام بأنه كان فى مجلس الزناتى وسمع فرسان الزناتى يقولون أنهم أحق ببنات الأشراف فخذ حذرك.

وقد قال الزناتى للعلام: كانت شرارة نار تطفى من الندى

قويتها يا علام زادت لهايب

قال أبو زيد للفرسان الذين معه: أسمعتم ؟ خذوا حذركم.

أوقف أبو زيد الفرسان بالهواذج قريباً من الحارة مع الجمال واحتال لدخول الحارة بأن لبس ملابس السقا العجوز الذى يملأ الماء للبنات وحمل القربة على ظهره بعد أن صبغ وجهه ونادى على البنات ففتحن له فصعد يجرى بسرعة إليهن لينجز مهمته. ويطلب الستر من الستار.

رأته ورد البها فلم تعرفه وقالت له: سأكتب لك خطاباً تسلمه لزوجى جبر القریشى خارج المدينة مع أعراب نجد .

وأخذت تكتب وهو بجوارها يزيل ما على وجهه من أصباغ يُسمع هذا الموال :

يا عين ليہ تنظري لأهل الجمال تانى
ما كنتِ قلت خلاص وإيه اللي جرى تانى
عمر اللي فات يا عيوني لم ييجى تانى
برضه يا عين اصبرى على هجر الحبيب وجفاه
يمكن زمان الهنا يرجع ييجى تانى



ورد البها تغنى وهى تكتب الخطاب :

زوجى حبيبى أيا عطرى .. وريحانى
يا مهجة القلب .. يا روحى .. ووجدانى

يا منبع الحب .. يا عشقى ويا أملى
ويا زمان الصفا من عند رحمان

كانت حياتى على الأيام مُسعدةً
بقُرب زوجى حبيبى .. نور أعيانى

عشنا حياةً جنان الخلدِ باديةً
جنانُ عدنٍ - نعم - جناتِ رضوان

وكم ضحكنا وكان الحب حارسنا
والدهرُ حانٍ علينا أى تحنّان

دارَ الزمانِ علينا ثم فرّقنا
صفا زمانى وبعد الصّفوفِ أبكاني

هل يا ترى قد أعاد الدهرُ دورتهُ
لنستعيد الصفا من بعد أحزانى

مرّت سنونٌ عجافٌ يال لذلّتنا
بكيّتُ فيها دموعاً فيضُ تهّان

التفتت ورد البها إلى السقا فوجدت أمامها أبا زيد. وأعلمها بحيلته وأخذ منها الخطاب ثم سلمها خطاب جبر وقال لها لا تحزنى فنحن الآن جميعا ذاهبين إلى زوجك خارج المدينة:

أبو زيد :

يا وردُ لا تحزنى فالحزن قد ولى
ولى و زال الضُّنا . بفضل مَنْانٍ

ورد البها وهى تبكى :

نعم . ليال الصفا تحنو على مثلى
فكم ليال بكت بالدمع أجفانى

يا عبد هذا جميلٌ لست أنساه
أحسننت لى يا فتى وأى إحسان

أبو زيد يطمئنها :

أميرتى .. اعلمى وافهمى أمراً
فجبرُ خالى

ورد البها :
فيا فخرى بشُجْعانٍ

جبر القریشى خالٌ للفتى . مَرَحَى
يا سَعْدُ أَقْبَلُ . ويا بُعْدًا لأحزانى

أبو زيد يخاطب جميع البنات :

هيا شريفاتِ قومى اركبن فى عزِّ
هوادجٍ زِيَّاتٍ تزهو بتيجانٍ

وارحلن عن سِجِّكِ اليوم فى نصرٍ
هيا إلى قومنا . شُكْرًا لرحمان

بنات الأشراف

مهما جرى يا فتاتي من قتال أو
ضرب فلا تسمعونا أي أحزان

لا تسمعونا سوى للنصر أغنية
وأسمعونا زغاريداً بأحسان

كيدوا عدوكم والله ناصرون
رثوا إلى نصره كيداً بإعلان

نزلت الفتيات من القصر فوجدن الجمال عليها الهودج قد أرسلها العلام أسفل القصر، وفزع عبيد الحارة إلى الزناتى فخرج الزناتى بفرسان حمير .

ركبت البنات الهودج على الجمال وسار أبو زيد أمامهم وقال لورد البها : أكرر كلامى مهما يحدث من مصادمات لا أريد أن اسمع منك صراخاً بل أريد أن استمع إلى الزغاريد والغناء لأننا الآن منصورين بعون الله مفهوم يا حليلة جبر ؟
ردت عليه : تمام .. أيها الفارس الهمام .

خرج أبو زيد بالصبايا على الجمال فى الهودج وأمامهم وخلفهم الفرسان من هذه الحارة متجهين إلى سور المدينة عند بوابة منصور فقابله بعض الكمائن من بنى حمير فانتصر عليهم جميعاً أبو زيد .

وسار الجميع قُدماً نحو بوابة المدينة .

الفتيات يأخذن فى الغناء والزغاريد . وقد تكونت مجموعتين أولاهما بقيادة ورد البها تحدى الغناء . والثانية ترد عليها .

الجماعة الثانية :

ورد البها ومن معها :

قلْبُنَا انشُرْ

يَا رَجَالَنَا

جَاءَنَا الْفَرْخُ

جِئْتُمَا لَنَا

قَدْ مَضَى النَّارُخُ

زَالِ سَجْنَا

بِبَارِقٍ لَمْحُ

هَذَا يَوْمُنَا

بنات الأشراف

رُثُوا كَيْدَهُمْ	جاءنا الفـرح
ففى نـورهم	جاءنا الفـرح
هَيَّا لِلْعُـلَا	جاءنا الفـرح
يـا رـجالـنا	جيشُنا نجـح
يـا حـارة زوا	وى هـنا الفـرح
ففى وداعـك	جاءنا الفـرح
يـا حُرَّاسَها	جاءنا الفـرح

وصل أبو زيد إلى بوابة تونس وتعجل فضرب الباب بالسيف ليفتحه فانكسر السيف ولم يفتح الباب .

قالت ورد : ما هذا يا عم سلامه ؟ ألا ترى أن الباب مصفح بالحديد ؟

رد أبو زيد : آه .. واحر كبداه لقد خَطَّطْتُ لفتح هذا الباب

حين دخلت ولم تفتحه سوى الجازية بنت سرحان بالحيلة .

قالت ورد : وأين الحيل للخروج بالبنات والهوارج ؟ وقد يدركنا فرسان الزناتى وبنى حمير .

أبو زيد : خَطَّطْتُ لِلدخولِ . فكيف بالخروج

ورد : الباب بالحديد . أغلق بالرتوج

أبو زيد يهمس بحسرة: فيك يا باب شقائى . وبمصراعيك دائى

ورد البها : مهلاً أيها سلامه . بموكب الحجـيج

كُنْ هادئاً بُنَى . ومُطْفِئِ الأَجـيج

ولا تكن قلوْقاً . كأسدٍ مَهـيج

ندعوك يا إلهى . بسـلمٍ فى الخـروج

بحقِّ سورة طه . والفتـح والبرـوج

وفى تلك اللحظة ضربت ورد البها بكف يدها اليمنى على جبهتها كأنما
قد تذكرت شيئاً نسيته وقالت بفرحة :

سوف أحل لك هذه المشكلة

قال أبو زيد : كيف ؟

قالت : سأنادى على زوجى

سألها : زوجك ؟ ألا تدرين أن بيننا وبينهم مسيرة نصف يوم ؟ فكيف ستنادين عليه ؟

ردت : بالطبلة

أجاب : طبلة ؟ أية طبلة ؟

قالت : اسمع يا فتى .. كنت أنا وزوجى أيام العز والهناء والصفاء نخرج نصيد الغزلان من
الجبال .. فيبتعد عنى ليصطاد وكان معنا طبلتان (كنوزى) يسمع صوتهما على مسيرة يوم .
إحدهما مع جبر والأخرى معى .

وحين يبتعد عنى ويريد محادثتى يصعد لأعلى الجبل وينقر بها نقرات اتفقنا نحن الاثنان
عليها - ينقر لى نقرات على الطبلة وأرد عليه وألاغيه بلغة نقر الطبلة فنفهم نحن الاثنان اللغة
والمراد وهل اصطاد وأين مكانه ومتى سيحضر . وأرد عليه فيعرف منى هل أنا بسلام ؟
أم أن هناك أخطاراً تهددنى ؟

والآن أنا معى هذه الطبلة أحضرتها معى . وأخرجت ورد البها طبلة صغيرة غريبة الشكل
مطعمة بالذهب اللامع والفضة الخالصة .

ورد البها : إن فتح الباب سَـعْدَى

يَا لِقُرْبٍ فِى اللَّقَاءِ

إِقْبَلِ اللَّهُمَّ مِنِّى

رَبِّ حَقَّقْ لى رَجَائى

أبو زيد : رَبُّنَا رَبُّ رَحْمِيمِ

وَسَمِيعٌ لِلدُّعَاءِ



ورد : قَدْ تَذَكَّرْتُ وَلِيَّ دِي
شُكْرًا رَبَّ السَّمَاءِ

طَبَّاتِي هِيَ يَا أَنْجِي دِي
وَاصْنُرْفِي عَنِّي عَنَّا

سَأُنَادِي لِحَبِيبِي
طَبَّاتِي رَمَزُ الْوَفَاءِ

أبو زيد : طَبَّاتِي؟ مَازَا أَرَدْتُ؟

ورد : إِنْهَا رَمَزُ الذِّكَاةِ

أبو زيد : بَيْنَنَا يَا وَرْدُ بَوْنٌ
شَاسِعٌ عَبَّرَ الْفَضَاءَ

ورد : إِنْهَا طَبَّاتِي كُنُوزِي
هِيَ رَعْدٌ بِسَوَاءِ

سَوْفَ يَسْمَعُهَا حَبِيبِي
سَوْفَ يَسْمَعُهَا شَفَائِي

كَأَنَّ يَأْخُذْنِي لِقْنِي
مَنْ صَبَّاحٍ لِمَسَاءِ

يَبْتَغِي عَنِّي حَبِيبِي
فِي جِبَالٍ وَخَلَاءِ

بنات الأشراف

وَإِذَا أَنَّهُ يَصْنُ طِيَادًا
يُعْلَمُ يَبَالِغُ بَالِغًا

يُخْبِرُنِي بِالْمَكِ بَالِغًا
بَصِيرَةً فَاءٍ وَنَقْءٍ

وَبِنَقْءٍ الطَّبَّاءِ لَاحِظًا
نِي بَصِيرَةً وَنَقْءٍ

فِي لَاحِظٍ يَبْنِي بِنَقْءٍ
كَامِلٍ حُلُوٍّ وَرَوَّاءٍ

وَعَلَى تَلٍّ عَلَى
كُنْتُ أَصْنَعُ لَشَفَاءٍ

وَأَرْدُ الطَّبَّاءِ لَاحِظًا
وَأَجِيءُ بِبَصِيرَةٍ

ذَاكَ سِرِّي يَا عُبَيْدِي
ذَا غَرَامِي الْأَوْفِيءَ

أبو زيد :

فَأَرِينِي وَرْدُ نَقْءٍ
بَطْبِئِي وَلِ كَالْغَنَاءِ

وَأَرْسَلِي مَنِي سَلَامًا
إِرْفَعُونِي لِلْبَنَاءِ

ورد :

ورفعوها فوقفت فوق سور المدينة وأخذت تُتَقَرُّ عَلَى الطَّبَّاءِ وَتُحَدِّثُهَا كَأَنَّمَا تَتَأَجَّبُهَا:

بنات الأشراف

ورد :

خفقات القلب نـاجـى
طبباتى عـبـر الجـواء

همساتى لحبيبى
اسـنـبـحـى عـبـر الفضـاء

ثُمَّ بُنِّئْهُ اشـتـياقـى
وحنينى وبكـائى

يا مـنـى قـلـبـى وروـحـى
كـلُّ صـُـبـحٍ ومـسـاء

يا نـسـيـمـاً عـبـقـريـئـاً
اسـنـبـحـنّ فـى الـهـواء

أحـمـل القـبـلات مـنـى
سـرّ لـجـيشٍ ولـواء

قـل لـهـم هـيـا أنـجـدونا
قـل لـهـم رثـوا نـدائى

قـل لـهـم هـيـا أجـيبـوا
بـجـيـوش كـالقـضـاء

فـأبـو زـيـدٌ وحيـدٌ
مـع بنـات كـالظـباء

قَدْ نَبَا السَّيْفُ فَهَيَّا
أَنْقَذُوهُ مَنْ عَنَاءِ

اجْمَعُوا الْفَرَسَانَ هَيَّا
وَأَجِيبُوا لِنَدَائِي

وعندما انتهت ورد ابتسمت ونظرت إلى أبي زيد وابتسمت في ثقة.

سألها أبو زيد : ماذا حدث

أجابت : أخبرتهم بما نحن فيه .. استعدّوا سيحضرون إليكم على وجه السرعة.

قال الراوى: سمع زوجها الأمير جبر القريشي وهو في معسكر بني هلال - سمع نقرات الطبل الكنوزي ، فعرف أنها زوجته.

وطلب ممن حوله من بني هلال الصمت والسكون.

وأصغى جيدا بأذنه يستقبل صوت الطبل آتٍ من بعيد وهو يهز رأسه ويفهم ما يُراد ، فعرف المضمون وماذا زوجته تقول .

فقال : آه .. واحرّ قلباه .. وأغمى عليه

أفاقوه بالروائح الزكية فانتبه وقال : سبحان الله .. وأشهد أن لا إله إلا الله.

قال السلطان حسن : ماذا هناك يا أمير جبر ؟

جبر : أما سمعتم نقر الطبله .

قالوا : بل سمعناه .. ينقر من بعيد ولكن ما معناه ؟

وعاد الطبل ينقر مرة ثانية بنفس المعنى مؤكّداً

جبر : الصّمتُ يا قومنا .. طبلٌ يناديني

أحدهم : يا عمّ ماذا تقول ؟ ..

جبر : طبلٌ يناديني

حسن : الطبلُ يا عمنّا ؟ .:

جبر : حُبِّي يناديني

حسن : أفصحُ أيّا عمنّا .:

جبر : وردُّ تناديني

آمنتُ باللهِ مُحمَّد .: بيني ومنشيني

جبر يغمي عليه مرة أخرى .. أفاقوه بالروائح الزكية وسألوه عن الأمر

حسن : أفقُ أيّا عمنّا .:

جبر : زوجي تناديني

أما سمعتم ؟

حسن : بلّي

جبر : طبلُ يلاغيني

وردُّ البهـا زوجتي .: صوتُ يناديني

حسن : فسّر أيّا عمنّا .:

جبر : وردُّ الرّيحـا حين

سمعا صديقي ويا .: زين السّلاطين

وردُّ البهـا زوجتي .: قالت تلاغيني

ابعثتُ سـلامي إلى .: كل المحبين

أول رموز الطبـول .: سلّم على السلاطان

إلى الهـلالـي حسن .: سلطان هلالين

ثانى رموز الطبـول : سـلم على القاضـى
إلى ابن فايد أمير : فى الفقه والدين

ثالث رموز الطبـول : سـلم على زوجى
جبر القریشى منى : قلبى ونور عینى

آخر رموز الطبـول : أيا عرب هيا
أمير جیش العرب : أبوزيد الهالين

بلا سلاح وأضـ : حى خالىا هيا
أضـحى وحيداً وحيـ : دافى الميـادين

قال الراوى :

قرعتْ طبـولُ الحـرب .. ركبـوا عـرب الهالين
وزيدان بن زيـان .. ابن ريان العرب .. جاب المهرة العامرية
قال الأمير زيدان .. جايـز الحصان يكون تعبـان .. خالى يقول هاتوا العامرية
زيدان لما للحمـر ركبها .. عصـيت منه ضربها
لما ما لقتش صاحبها .. بين الفرسان ركبها .. غضبت منه العامرية
زيدان ضرب العامرية .. صـهـت صـهـت هلة علىـه
سمعها صاحبها .. فى داخل البلد .. قال : مين اللى ركبها
ونادى على العامرية :

العامرية مع مين ؟ قالوا مع زيدان يا باتعين .. عاصيه منه العامرية
أبوزيد قال للعامرية : يا عامرية عاصية ليه ؟ عاصية زيدان من شان إيه ؟
واجب عليك تطاوعيه .. تعالى يا عامرية .. وانتقادت له العامرية



ودخل الهلالية عنوة .. وفتح باب تونس لتخرج منه الجمال وما عليها من الهوادج
وبها بنات الأشراف العقيلات القرشيات .. بين الزغاريد وأغانى الأفراح .. بالرغم من الزناتى
وجيوش بنى حمير

قال الراوى : وهنا امتطى أبو زيد فرسه العامرية فانقادت له وأخذت تصهل وترقص
وقفزت لأعلى بأرجلها الأمامية فرحة بصاحبها ورفعت رأسها عاليا .. ثم أخذت تدير رأسها
يمينا وشمالاً وأعلى وأسفل كأنها فى ذكر الله وشكر له .. وتشكر الله على سلامة صاحبها ولقائه
بها .

كل ذلك والزناتى خليفة ينظر ويتعجب ويضرب كفاً بكف ولا يصدق ما يرى .. الفرس
كأنما تتحدث مع صاحبها .. تكاد ترقص وتغنى فرحاً وتهز رأسها لأعلى وأسفل كأنما تذكر الله
وتسأل الزناتى : ما أمر هؤلاء القوم ؟

إنه فعلا يريد أن يعرف أمر هؤلاء الأشراف من القوم العظماء .. وعرف أن عظيم
جيوشهم هو الأمير أبو زيد الهلالي سلامه الذى سجنه وأذله دون أن يدرى أمره .. فمن هؤلاء
الناس ؟

الزناتى يتساءل: يا رفاقى يا بنى حميرُ يا
يا وهيدى يا ملوك المغربِ

أعلمونى خبراً عن أصلهم
أرض نجدٍ فى بلاد العربِ

أبو زيد : إن تسَلْ يا حميرى عن نسبي
قد تجاهلت الذُّرا والشُّهْبِ

فتعالى يا زناتى ها هنا
كى أوافيك بخير الحسبِ

لَا تَنْظُرَنَّ سِوَادِي عَابِنِي
فَأَنَا الْمِسْكُ عَلَى النَّسَبِ

إِنْ قَوْمِي تَغْلِبُ رَايَاتُهُمْ
عَالِيَاتٌ بِمُرُورِ الْحَقِّبِ

وَبَنُو بَكْرٍ . وَأَعْمَامُنَا
خَيْرُ أَجْنَادِ مَلُوكِ الْعَرَبِ

هَزَمُوا كِسْرَى وَإِيوَانَا لَهُ
فِي خَصِيبٍ مِنْ زَمَانٍ طَيِّبِ

وَكُلَيْبُ وَابْنُ كُثُومٍ وَكُلُّ
... شَرِيفٍ وَعَفِيفٍ وَأَبِي

نَحْنُ أَشْرَافُ تَجَمُّعِنَا عَلَى
بَارِقِ الشَّرْقِ وَنُورِ الْمَغْرِبِ

سَلْ بَنِي الْمُنْذِرِ عَنْ أَيَّامِنَا
سَلْ بَنِي غَسَّانِ خَيْرِ النُّجُبِ

وَاحْذِرِ اللَّغْوَ زِنَاتِي يَا فَتَى
وَالْزِمِ الصَّمْتَ وَحُسْنَ الْأَدَبِ

سُئِمْنَا خُسْفًا بِسِجْنِ ضَيْقِ
ضَمٍّ مِنَّا كَمْ نَجِيبُ أَنْجَبِ

وبتدبيرٍ .. وعقلٍ صائبٍ
خرجَ الجمْعُ سعيدَ المؤكِّبِ

وأنتِنا بأسودِ دَمِّ دَمَتِ
تبتغى ثأراً بسحقِ الثَّعلبِ

فلما سمع الزناتى من أبو زيد هذا الكلام امتطى جواده وأعد نفسه للحرب والطعان .. ونزل
إلى الميدان يبتغى الحرب والصدام.
قال الراوى :

أما الزناتى خليفة سمع الشَّوْشَرَه
ورأى العرب هجموا على البناياه

هجم بنى حمير وتقدم بلا مهل
زيدان قال : يا خال سيبنى هنا ويأه

يا خال أنا نفسى أحارب الزناتى خليفة
قال له : يا واد ده مُشْ سهل هناه

يا واد زناتى خليفة مُشْ سهل يا محترم
ده فارس صميدع والله ما مثله جاه

خليفة يا واد ما جابتهوش مقمعه
ده أسد كاسريوم الوغى تلهاه

خليفة كما غليون فى بحر مالخ
يصيف بيده كل شاب أتاه

إِنْ غَلِيْنَتْ لَهُ يَرْكُنُ الْبَرْ بِلَا مَهْلٍ
وَلَمْ حَبْلُ الْمَرْكَةِ .. وَطَوَاهُ

إِنْ مَرِيْسَتْ لَهُ دَوَسُ الشَّعْبِ وَالْحَصَى
وَيَنْسَى الْجَمِيْلُ الَّلَى فَعَلْتَهُ مَعَاهُ

يَهْجُمُ عَلَى الْوَقْعَةِ .. وَيَضْمَنْ قُرُونَهَا
وَالْحَبْلُ عَنْده .. وَالرُّبَاطُ حَادَاهُ

إِنْزِلْ يَا زَيْدَانِ وَقَابِلْهُ .. وَإِنْ زَادَ عَلَيْكَ الرِّيحُ
قُلْ : يَا سَلَامَهُ .. أَجَى لَكَ كَمَا بَحَرُ وَفَكُّوا غُمَاهُ

نَزَلَ زَيْدَانِ الْمَرْكَةَ بِلَا مَهْلٍ
هَذَا مَثَلُ حَلْمٍ وَيَتَمَنَّى نَاهُ

هَجَمَ عَلَيْهِ الزَّنَاتِي كَمَا سَبَعَ كَاسِرُ
الْوَادِ هَلَالِي وَبِالْفُنُونِ لَقَاهُ

مَرَّةً فِي مَرَّةٍ .. لَمَّا الزَّنَاتِي بَقِيَ نَوَّهٌ فِي نَوَّهٍ
وَجَهَّزْ حَبَائِلَهُ .. وَلَلْقِيَا وَدَّ نَوَاهُ

زَيْدَانِ يَشْرِقُ .. يَغْرُبُ
الزَّنَاتِي كَمَا سَبَعَ كَاسِرُ فِي الْمِيدَانِ وَرَاهُ

زَعَقُ وَقَالَ : يَا خَالُ أَدْرِكْنِي
أَغْنِنِي يَا خَالُ .. الْبَحْرُ صَارَ هَائِجَاهُ

نزل الهلالى سلامه على العامرية كما نسرجارح
يلاقى الصميدع وبالفنون رماه

فى كل مره بطل يلاقى بطل
لما الخيول كالت .. طلعو الى الخلاواه

إن كرس لامة .. فر الزناتى
فى لمح البصر يلقى أبوزيد وراه

ننادى الزناتى : نحكمكم
قال له أبوزيد : الحكم للأمره

أمراء الحرب حكموا بالمصالحه
والصلح بعد الحرب والملاقاه



وانتهى القتال بين البطلين بحكم الأمراء وأخذ أبو زيد فرسه العامرية واتجه إلى البوابة
ليكمل مهمته، فوجد الجمال والهوارج وبنات الأشراف يسلمن على جبر القریشى. ووجد ورد
البهاء وزوجها جبر قد وصلا إلى ذروة التأثير بالبكاء والنحيب والأحضان والإغماء .. زوجان
لم يشاهد كل منهما الآخر منذ أحد عشر عاما سبحانه الله .

وتحرك الموكب إلى خارج المدينة لمعسكر بنى هلال وكذلك الجيش الذى أتى لنجدة
أبى زيد تحرك الجميع بقيادة أبى زيد وحوله فرسان بنى هلال الأبطال الأشداء الشجعان.

نشيد الانتصار

أبو زيد ينشد نشيد الانتصار والرجال يردون عليه ويتجهون إلى المعسكر :

أبو زيد : دعونى إلى وصف أقدارها

الفرسان : بعذب القوافى ومختارها



أبو زيد : وكُفُوا عن اللّومِ إني مُحبٌ

الفرسان : تغنّى بعشّق لسُـمّارِها

أبو زيد : تقيض المعانى إذا رُمْتُها
جنائنا تميس بأثمارها

ويا ربّ يومٍ أتى فتيةٌ
وجوهها تهلُّ بأنوارها

بقلبٍ نقى .. وعقلٍ زكى
كعقل الشيوخ وأخبارها

الفرسان : لنحْمى العقيلاتِ من قومنا
شُموسًا لتسطعَ فى دارها

فهنّ نهّارًا كشمسِ الصّباح
وعند اللّيلِ كالأقمارِها

فأشـررنا مثل أكبادنا
ونور العيون وإبصارها

أبو زيد : وسلطاننا كم بأصلٍ وجودٍ
كماءٍ يفيض بأنهارها

وفى العدل قُل هو خطائبنا
وقل كالسُّيوفِ وبتارها

الفرسان :

وَأَنْتَ أَبَا زَيْدُ جِئْتَ بِنَصْرِ
وَفِي السَّبْقِ فَزَتْ بِمُضَامِرِهَا

عَدُولٌ رَقِيبٌ أَمِينٌ زَكِيٌّ
إِذَا مَا أَدْلَهَمَّتْ بِأَعْصَارِهَا

جَذَبْتَ الْقُلُوبَ إِلَيْكَ بِوَدٍّ
عَزَفْتَ بِرَفْقٍ بِأَوْتَارِهَا

فَكُنْتَ كَمَا النَّجْمُ فِي سَعْدِهِ
وَنَحْنُ الثُّرَيَّا بِأَنْوَارِهَا

ضَرَبْتَ مَثَالًا لِلزَّيْنِ الْخَالِقِ
وَكَمْ أَنْتَ رَمَزٌ لِإِيثارِهَا

وَنَحْنُ بِذُورِ الْأُلَى الْفَاتِحِينَ
وَفِي الْحَرْبِ مِنْ خَيْرِ أَخْيَارِهَا

نَمُدُّ الْأَيْدَى لِعَوْنِ الْبِلَادِ
بِخَوْفِ الْقَدِيرِ وَجَبَّارِهَا

وَأَنْتَ أَبَا زَيْدُ قُدْتُ قَبِيلًا
فَجَادَتْ وَأَعْطَتْ بِأَثْمَارِهَا

فَأَضْحَتْ جَنَانًا وَأَهْدَتْ عُطُورًا
تَفْوَحُ ابْتِهَاجًا بِأَذَارِهَا



وتونس أضحت لنا جنّة
ورضوان يُهدى بأثمارها

وأضحت هلالاً كما قبلة
لثأر الرجال بإعصارها

أبو زيد :

يببّون ليلاً على همّة
قياماً ساجوداً بأسحارها

نقيم صُروحاً لعدلٍ وعلمٍ
ودين مزيجاً لأكدارها

عقيلاتُ أشـرافنا عائداتُ
ودان السّـفين لبخّارها

وجادت قريحة كلّ أديبٍ
وكم من أميرٍ لأشعارها

ويا جبرُ قد حُزت سَعْدًا وبشراً
بورّد البهاء .. وأنوارها



تمت مسرحية بنات الأشراف

نظمها

عبد العزيز عبد المجيد النجار

٢٠١١/٧/٢٠م